الكهنوت
ج ٣

عوض سمعان

الكتاب الثالث

الكهنوت الطقوسي
في ضوء الوحي والتاريخ

كنيسة الأخوة

أخذت بإذن رسمي من صفحة بيت الله. جميع الحقوق محفوظة لمكتبة الإخوة ولا يجوز إعادة نشر أو طباعة إي من الكتب أو المقالات بأي طريقة طباعية أو إليكترونية أو وضعها على الإنترنت إلا بإذن خاص ومكتوب من الإخوة وصفحة بيت الله. يمكنك أن تحتفظ بالكتب أو المقالات للاستخدام الشخصي فقط وليس بهدف بيعها أو المتاجرة بها بأي طريقة كانت ومهما كانت الأسباب

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

المحتويات

الباب الأول: الحجج الخاصة بقيادة الكنيسة، ورياسة اجتماعات العبادة	
١–الحجج الخاصة بقيادة الكنيسة، والرد عليها	
٢–الحجج الخاصة برياسة اجتماعات العبادة، الرد عليها	
الباب الثاني: الحجج الخاصة وضرورة إقامة رجال الدين بواسطة وضع الأيادي عليهم	
١–المعنى الصحيح لعبارة وضع الأيادي الواردة في الرسالة إلى العبرانيين	
٢–الحجج الخاصة بوجوب وضع الأيدي لتعين رجال الدين، والرد عليها	
الباب الثالث: الحجج الخاصة بالقيام بالمعمودية	
١–ماهية المعمودية والولادة من الله	
٢–أصحاب الحق والقيام بالعماد	
الباب الرابع: الحجج الخاصة بالقيام بالعشاء الرباني	
١–الحجج القائلة بتوقف الغفران والحياة الأبدية على التناول من العشاء الرباني والرد عليها	
٢–أصحاب الحق في القيام بالعشاء الرباني	
٣–الاعتراضات والرد عليها	
الباب الخامس: الحجج الخاصة بالاعتراف والحصول على الغفران	
١–الحجج الكتابية، والرد عليها	
٢–الحجج العقلية والرد عليها	

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٣–الفرق بين الغفران العام والغفران الخاص	
الباب السادس: الحجج الخاصة بالحل والربط والأسرار والتعليم	
١–الحجج الخاصة بالحل والربط، والرد عليها	
٢–الحجج الخاصة بالأسرار والتعليم، والرد عليها	
الباب السابع: الحجج الخاصة بشفاء المرضى، وإعطاء الروح القدس	
١–الحجج الخاصة بشفاء المرضى، والرد عليها	
٢–الحجج القائلة بوضع الأيدي لإعطاء الروح القدس ومواهبه والرد عليها	
الباب الثامن: الحجج الخاصة بتوقف الخلاص على الانضمام إلى كنيسة الكهنة الطقسيين	
١–تأسيس الكنيسة المسيحية وأسباب تكون الطوائف	
٢–الاعتراضات والرد عليها	

تمهيد

اتضح لنا من كتاب "كهنوت المسيح"، أن كفارته له المجد قد وفت كلّ مطالب العدل الإلهي إلى الأبد عن خطايا البشر جميعاً، إذ دخل بدم نفسه إلى الأقداس السماوية فداءً أبدياً (عبرانيين ٩: ١٢). ومن ثم لم يعد هناك مجال لأية ذبيحة كفارية بعد كفارته (عبرانيين ١٠: ١٨). وبالتالي لم يعد هناك مجال لوجود كاهن خاص من بين المؤمنين، يتولّى تقديم مثل هذه الذبيحة عنهم أو عن غيرهم فيما بعد. كما اتّضح لنا أن

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

المسيح وحده، على أساس كفاية كفارته إلى الأبد، هو وحده الكاهن ورئيس الكهنة معاً طوال العهد الجديد الذي نعيش فيه الآن (عبرانيين ٧: ١١).

واتضح لنا من كتاب "كهنوت المؤمنين" أن جميع المؤمنين الحقيقيين هم كهنة الله بالمعنى الروحي (رؤيا ١: ٦). وأن كل ما يختصّ بكهنة العهد القديم ينطبق على هؤلاء المؤمنين بحالة روحية. كما اتضح لنا في الكتاب أن جميع الحجج القائلة بوجود كهنة بالمعنى الحرفي أو الطقسي في العصر المسيحي، بعيدة عن الصواب كل البعد.

وسندرس الآن الاعتقاد السائد عند بعض المسيحيين بأنه يوجد في هذا العصر خلفاء للرسل، هم بحكم مركزهم كهنة بالمعنى المذكور. وأنهم يقومون ببعض مهام الرسل، ومهام كهنة العهد القديم على نحو ما.

ونظراً لخطورة هذا الاعتقاد نوجه نظر القراء بادئ ذي بدء إلى أن الحقيقة هي بنت البحث. وأن من يرفض دراسة الآراء المخالفة لرأيه، أو يدرس هذه الآراء بروح تختلف عن تلك التي يدرس بها الآراء الموافقة له، لا يتيسر له إدراك الحقيقة إطلاقاً. ولذلك قال الرسول: "امتحنوا كل شيء. تمسّكوا بالحسن" (١تسالونيكي ٥: ٢١). كما وصف قوماً بأنهم أشرف من غيرهم لأنهم قبلوا رسالة الإنجيل بكل نشاط، فاحصين كل يوم الكتب المقدسة التي كانت بين أيديهم، لكي يروا إذا كانت هذه الرسالة تتوافق مع الكتب المذكورة أم لا تتوافق. ولما تحققوا من توافقها معها، آمن كثيرون منهم بالمسيح وحصلوا على خلاصه الثمين (أعمال الرسل ١٧: ١١-١٢). لذلك فمن الشرف والنبل أن لا يرفض أحد آراء الآخرين دون بحث. وإذا بحثها، يجب أن لا يكون ذلك بروح التهاون الذي يحتقر الآراء المخالفة له، بل بروح النشاط، الذي يسعى بإخلاص

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

إلى معرفة الحق. ومقياس الحق ليس هو آراؤنا مهما كانت طيبة في أعيننا، أو آراء غيرنا من البشر مهما كان شأنهم، بل إنه كلمة الله دون سواها (يوحنا ١٧: ١٧) فإذا تبين للمرء بعد البحث صدق الآراء التي يتمسك بها (أو بالحري، مطابقتها لهذه الكلمة) أعلنها بكل تدقيق شأن العلماء الراسخين. وإذا تبين له خطأها يجب أن لا تثور ثائرته ويقف موقف المعاندة، بل أن يخضع للحق بكل رضى. فالحق يعلو، ولا يعلى عليه.

وقد فعل ذلك جميع الأتقياء ؛ فقد قال القديس ديونسيوس الذي عاش في القرن الثاني: إن الله أعلن له أن يقرأ كل ما يمكن أن يصل إليه من كتب، لأنه يستطيع أن يمتحن كل شيء ويصححه، وإن هذا هو السبب في إيمانه من البداءة (تاريخ يوسابيوس ص٣١٦). وحديثاً قال أحد كبار الأرثوذكس: "إن انقياد الإنسان وراء الغير يفقده شخصيته، ويجعله عاجزاً عن التصرّف في شيء من تلقاء ذاته. ولما كان الله يتطلّب من المؤمنين أن يكونوا أقوياء الشخصية، وجب عليهم أن لا يلقوا بقيادهم إلى إنسان ما، بل أن يسمعوا لكثيرين وأن يقرأوا لكثيرين، حتى تنطلق أرواحهم حرة من كل قيد، تبحث عن الحق أينما كان غير خاضعة أو مقدسة لفريق خاص من الناس" (انطلاق الروح ص٢٩، ٣٠). لأن بهذه الوسيلة، وبها وحدها، يمكن إدراك الحق بكل وضوح وجلاء. وفي إدراكه يتمجّد الله، كما نحصل نحن على البركة التي نحتاج إليها.

المؤلف

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الباب الأول
الحجج الخاصة بقيادة الكنيسة، ورياسة اجتماعات العبادة

١
الحجج الخاصة بقيادة الكنيسة، والرد عليها

١- [إن الرياسة الدينية ضرورية لقيادة الكنيسة ؛ وبما أن المسيح بصعوده إلى السماء لم يعد رئيساً منظوراً لها، لذلك فإن من يشغل هذا المركز هو البطريرك، الذي كان يطلق عليه في أول الأمر "الأسقف" ــ فقد قال الرسول عنه إنه وكيل الله (تيطس ١: ٧).

الرد: فضلاً عن أن الوحي يعلن بعبارات صريحة أن المسيح وحده هو رأس الكنيسة (كولوسي ١: ١٨)، وأنه وحده هو الذي يعتني بها طوال وجودها على الأرض، حتى يأتي بها إلى مجده بلا عيب في الابتهاج، كما يتضح من (يهوذا ١: ٢٤)، وأننا كمؤمنين يجب أن نتجه ليس إلى ما يرى بل إلى ما لا يرى (٢كورنثوس ٤: ١٨)، أو بالحري إلى من لا يرى، إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع المسيح (عبرانيين١٢: ٢)، الأمر الذي لا يدعو إلى وجود وكيل أو خليفة له على الأرض، نقول:

(أ) إن المسيح لم يظل ميتاً بعد صلبه مثل الناس الذين يموتون بالصلب أو بغيره، حتى كان يستلزم الأمر وجود خليفة له، بل قام له المجد من الأموات في اليوم الثالث. وهو الآن حي في السماء، وسيبقى كذلك إلى أبد الآباد (رؤيا١: ١٨)، إذ لا يمكن أن يسود عليه الموت فيما بعد (رومية ٦: ٩) ــ هذا فضلاً عن أنه له وحده

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

البقاء أو عدم الموت. لذلك فإنه وإن كان لا يوجد بناسوته مع المؤمنين الحقيقيين الذين تتكون منهم كنيسته على الأرض في الوقت الحاضر، غير أنه يوجد معهم بلاهوته. فقد قال "حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي، فهناك أكون وسطهم" (متى ١٨: ٢٠) ؛ كما قال لجميع المؤمنين الحقيقيين ممثلين في الرسل "وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر" (متى ٢٨: ٢٠). ووجوده بلاهوته معنا، لا يقل في شيء بالنسبة لنا، عن وجوده معنا بناسوته، إن لم يكن أفضل ؛ إذ بالإضافة إلى أن علاقتنا به، يجب أن تكون علاقة روحية لا جسدية (لأن معظم الذين رأوه بالجسد، لم يؤمنوا به أو يفيدوا منه)، فقد قال لتلاميذه إنه خير لهم أن ينطلق، لأنه إن لم ينطلق لا يأتيهم الروح القدس. أما متى جاء هذا الروح، فإنه بسكناه فيهم يرشدهم إلى جميع الحق. كما يأخذ مما له (أي مما للمسيح) ويخبرهم (يوحنا ١٦: ١٤).

وإذا كان الأمر كذلك، فالقول بوجوب وجود خليفة للمسيح على الأرض ليتولى الرياسة الدينية على المؤمنين، فضلاً عن أنه ليس له أساس في الكتاب المقدس، هو تنكر لوجود المسيح بلاهوته مع المؤمنين في الوقت الحاضر، كما أنه تنكر لحقيقة إمكانية اتصال هؤلاء المؤمنين به عن طريق الروح القدس الساكن فيهم (١ كورنثوس ٦: ٩).

(ب) إن البطريرك الذي يقال إنه خليفة المسيح، قد يكون شخصاً مجرداً من المواهب الروحية، بل وقد يكون أيضاً شخصاً شريراً[١]. ومن ثم لا يكون هو نفسه

---

[١] – يؤسفنا أن نسجل هذه العبارة، ولكن من يطلع على تاريخ باباوات روما، يتضح له أننا لسنا مغالين في نعت بعضهم بالشر. وإننا بقولنا هذا لا نقلل من شأن رجال الدين، بل نعلن فقط أن الوظائف الدينية لا تدل على نقاوة قلوب شاغليها، إذ أن هذه لا تنقيها سوى التوبة والإيمان الحقيقي.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

واحداً من الكنيسة الحقيقية (لأن هذه تتكون فقط من المؤمنين الحقيقيين الذي ولـــدوا من الله[٢]، ولهم علاقة حقيقية معه بالروح القدس الساكن فيهم). وشخص ليس واحداً من الكنيسة الحقيقية، لا يمكن أن يكون رئيساً حقيقياً لها ـــ إن كان هناك مجال لوجود رئيس من البشر عليها. أما إذا كان هذا الشخص مؤمناً حقيقياً، فإن ضميره يأبى عليه أن يدعى رئيساً للكنيسة أو خليفة للمسيح، إذ فضلاً عن أنه يعـــرف حقـــارة شـــأنه كإنسان في جسد الضعف والخطيئة مثل باقي الناس، لا يمكن أن يسلب الربّ حقوقه، أو يحرم شعبه من الصلة المباشرة به. ولذلك يرى أن الفخر له وكل الفخر في أن يكون عبداً للمسيح، وواحداً مع باقي المؤمنين، بل وخادماً لهم جميعاً، كمـــا كـــان الرســـل يعتبرون أنفسهم قديماً (رومية ١: ١، ٢ كورنثوس ٤: ٥).

(ج) هذا ويؤسفنا كل الأسف أن يكتفي صاحب هذه الحجة (إن جـــاز أن تسمى حجة) بكلمتين من آية ويترك ما بقي منها، حتى لا ينكشف ما في حجته مـــن مغالطة. فنصّ الآية التي أشار إليها هو: "لأنه يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيـــل الله" ـــ فهو كوكيل الله ليس من ناحية المقام أو المركز، لأن الله لا يعطي مجده لآخـــر (إشعياء ٤٢: ٨)، بل من ناحية السلوك بلا لوم في العالم الحاضر. لكن بعض القائلين إنهم خلفاء للرسل لا يفهمون هذه الحقيقة، إذ يعتقدون أنهم في مركز وكلاء الله من حيث المقام بالنسبة إلى المؤمنين، حتى ذهب نفر منهم إلى أنهم آلهة المسيحيين علـــى الأرض، كما جاء في الدسقولية (ص ٦٥)، ومن ثم يطالبون أتباعهم بالسجود أحياناً أمامهم ! !.

---

[٢]– درسنا هذه الولادة بالتفصيل في كتاب "فلسفة الغفران في المسيحية".

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(د) أخيراً نقول: إذا وضعنا أمامنا (أولاً) أن الرسل لم يدعوا المؤمنين رعيتهم بل رعية الله (١بطرس ٥: ٢)، والرعية تتبع راعيها وليس شخصاً آخر (يوحنا١٠: ٤) (ثانياً) أنهم طلبوا من المؤمنين أن يلتصقوا بالربّ وحده (١ كورنثوس ٦: ١٧)، كما أعلنوا لهم أنه أسقفهم وراعيهم الذي يجب أن يرجعوا إليه في كل أمورهم (١ بطرس ٢: ٥). (ثالثاً) أنه لما تحيّز كل فريق من المؤمنين في العصر الرسولي إلى رسول أو مبشر خاص، وبّخهم بولس الرسول بكل شدّة قائلاً لهم "إن كان واحد منكم يقول أنا لبولس، وأنا لأبلوس، وأنا لصفا، وأنا للمسيح، هل انقسم المسيح ؟! ألعلّ بولس صلب لأجلكم ؟!" (١كورنثوس ١: ١٢)، اتّضح لنا بصفة قاطعة أن الرسل لم يقيموا أنفسهم رؤساء على المؤمنين، أو أقاموا خلفاء لهم ليكونوا رؤساء على هؤلاء المؤمنين.

٢- [إن الرسل بإقامتهم أساقفة وقسوساً، وضعوا مبدأ الرياسة الدينية، لأنه لم يكن هناك داعٍ لوجود فئتين من رجال الدين، إحداهما أعلى مكانة من الأخرى، إذا لم يكن هناك مثل هذا المبدأ].

الرد: إن كلمة أسقف معربة من الكلمة اليونانية "أبسكوبوس"، ومعناها ناظر. وكلمة قسيس معربة من الكلمة السريانية "قشيشو"، ومعناها شيخ أو شخص متقدم في السن. وهاتان الكلمتان لا علاقة لهما بالكهنوت أو غيره من الشؤون الدينية. لأن العمل الرئيسي للكهنة بالمعنى الحرفي، هو تقديم الذبائح الكفارية. وهذه الذبائح لم يبق لها وجود بعد كفارة المسيح، كما ذكرنا في كتاب "كهنوت المسيح "ـ فضلاً عن ذلك فإنه بالرجوع إلى الكتاب المقدس يتّضح لنا أن الأسقف هو القسيس (أو بالحري هو الشيخ) نفسه، كما يتضح لنا ما يلي:

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(I) قال الوحي عن بولس الرسول إنه من ميليتس استدعى قسوس الكنيسة. فلما جاءوا إليه، قال لهم: احترزوا لأنفسكم ولجميع الرعية أقامكم الروح القدس فيها أساقفة[٣] (أعمال ٢٠: ١٧-٢٨)، وهذا دليل على أن القسوس الذين استدعاهم الرسول هم الأساقفة، وليسوا أشخاصاً غيرهم.

(II) وقال بولس الرسول لتيطس "من أجل هذا تركتك في كريت لكي تكمل ترتيب الأمور الناقصة، وتقيم في كل مدينة شيوخاً أو (قسوساً) كما أوصيتك. إن كان أحد بلا لوم، بعل امرأة واحدة، له أولاد مؤمنون ليسوا في شكاية الخلاعة ولا متمردين. لأنه يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل الله (تيطس ١: ٥-٧)، الأمر الذي يدل على أن الشيوخ أو القسوس الذين أوصى بولس الرسول تيطس بإقامتهم، هم الأساقفة أنفسهم.

(ج) وقال أيضاً لتيموثاوس "إن ابتغى أحد الأسقفية، فيشتهي عملاً صالحاً. كذلك يجب أن يكون الشمامسة[٤] ذوي وقار (١تيموثاوس ٣: ١-١٣). فالرسول لا

---

[٣] – مما تجدر ملاحظته في هذه الآية أنها تعلن لنا أن القسوس لم يقاموا أساقفة على الكنيسة، بل أقيموا أساقفة فيها. الأمر الذي يدل على أن رأس الكنيسة هو المسيح وحده، وأن الأساقفة (أو القسوس) مع باقي المؤمنين الحقيقيين، هم جنباً إلى جنب، أعضاء في هذه الكنيسة.

[٤] – كلمة "شماس" معربة عن الكلمة السريانية "مشمشونو"، ومعناها "خادم"، بالمعنى العام لدينا. فكلمة "خدام" في الآية "وقالت أمه للخدام: مهما قال لكم، افعلوه" (لوقا ٢: ٥)، ترد في السرياني شمامسة. أما المهمة التي كان يقام الشمامسة لأجلها في أول الأمر، فكانت العناية بالأرامل (أعمال ٦: ١-٧). ومن ثم كان من الواجب أن يختاروا من الرجال الأتقياء المتزوجين، والذين لهم أولاد

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يذكر هنا سوى فئتين هما: الأساقفة والشمامسة. وبما أنه لو كان هناك قسوس أيضاً وقتئذٍ كأشخاص غير الأساقفة، لكان الرسول قد أشار إليهم. لأنه ليس من المعقول أن يكون قد أشار إلى الأساقفة والشمامسة دون أن يشير إلى هؤلاء القسوس، لذلك لا بدّ أن الأساقفة (في ضوء ما ذكرنا فيما سلف) هم ذات القسوس.

(د) وقال بولس الرسول أيضاً لأهل فيلبي "إلى جميع القديسين الذين في فيلبي مع أساقفة[٥] وشمامسة" (فيلبي ١: ١) ــ فالرسول لا يذكر هنا سوى فئتين كذلك، هما الأساقفة والشمامسة، وبما أنه ليس من المعقول إطلاقاً أن يكون الرسول قد نسي القسوس (إن كان لهم وجود في أيامه كأشخاص يتميزون عن الأساقفة)، أو يكون هؤلاء القسوس قد سافروا جميعاً وقتئذٍ من فيلبي، أو انتقلوا إلى السماء معاً في وقت واحد، إذن لا بدّ أن الأساقفة هم القسوس كما ذكرنا.

(تيموثاوس ٣: ١٢)، وذلك حتى لا يشتبه أحد في سلوكهم أثناء قيامهم بهذه المهمة. ولكن لما تفرد القسوس بالصلاة في بعض الطوائف، اتخذوهم مساعدين لهم في أدائها.

[٥] – من هذا يتضح لنا أنه في العصر الرسولي، لم يكن في الكنيسة الواحدة (على الرغم من تكونها من عدد قليل من المؤمنين، بالنسبة إلى أي كنيسة في العصر الحاضر) أسقف واحد، بل أساقفة، أو بالحري أساقفة كثيرون. ويرجع السبب في ذلك إلى أن الأساقفة كانوا يتّصلون بكل المؤمنين، أغنياء كانوا أو فقراء، ويهتمون بكل واحد منهم اهتماماً خاصاً. وذلك على النقيض مما يجري الآن في كنائس القائلين بالخلافة الرسولية. فإن من يقال عنه "الأسقف" عندهم، هو رئيس كبير لا يقوم بما كان يقوم به الأسقف قديماً من الرعاية لكل واحد من المؤمنين على حدة.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(هـ) كما أننا إذا رجعنا إلى الكتاب المقدس، نرى أن عمل الأسقف هو ذات عمل القسيس أو الشيخ. فقد قال بطرس الرسول للقسوس أو الشيوخ "ارعوا رعية الله التي بينكم" (١ بطرس ٥: ١-٢). اقرأ أيضاً (أعمال ٢٠-٢٨).

وقال بولس الرسول عن الأساقفة أن يكونوا ملازمين للكلمة الصادقة التي بحسب التعليم، لكي يكونوا قادرين أن يعظوا بالتعليم الصحيح ويوبّخوا المناقضين (تيطس ١: ٧-٩)، أو بالحري أن يرعوا المؤمنين ويصدوا عنهم المعلمين الكذبة.

كما نرى أن الشروط الواجب توافرها في الأسقف، هي بعينها التي يجب توافرها في القسيس. فقد قال الرسول عن الأسقف إنه "يجب أن يكون بلا لوم بعل امرأة واحدة، صاحياً عاقلاً محتشماً[٦]، مضيفاً للغرباء، صالحاً للتعليم، غير مدمن للخمر، ولا ضراب ولا طامع بالربح القبيح، بل حليماً غير مخاصم ولا محب للمال، يدبر بيته حسناً. له أولاد في الخضوع بكل وقار". وقال عن الشيخ أو القسيس إنه "يجب أن يكون بلا لوم بعل امرأة واحدة، له أولاد مؤمنون ليسوا في شكاية الخلاعة ولا متمردين ... غير معجب بنفسه ولا غضوب ولا مدمن الخمر ولا ضراب ولا طامع في الربح القبيح، بل مضيفاً للغرباء، محباً للخير، متعقلاً باراً ورعاً ضابطاً لنفسه، ملازماً للكلمة الصادقة" (١تيموثاوس ٣: ٧، تيطس ١: ٥-٧) الأمر الذي يدل على أن القسيس هو الأسقف كما ذكرنا.

---

[٦] – لأنه فضلاً عن وجوب اتصافه كمسيحي بهذه الصفة، فقد كان من عمله الاتصال بالعائلات للعناية بأمورها الروحية.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

مما تقدم يتضح أن الأشخاص المذكور أنهم شيوخ في (تيطس ١: ٥، ١بطرس ٥:١) هم أنفسهم المذكور أنهم قسوس في (أعمال ١٤: ٢٣، ٢٠: ٧)، وأن هؤلاء الأشخاص يدعون قسوساً أو شيوخاً بالنسبة إلى سنهم، ولكن يدعون أساقفة (تيطس ١: ٥-٧) بالنسبة إلى عملهم وهو النظارة أو الرعاية.

(و) أما عن دعوى بعض المسيحيين [بأن الأسقف وإن كان يتفرّد بالقيام بأعمال خاصة، غير أنه (كما يرون لديهم) يعمل في معظم الأحيان عمل القسيس، ومن ثم يجوز أن يسمى قسيساً، مع أنه في ذاته ليس كذلك] فنقول: فضلاً عن الأدلة السابق ذكرها التي تثبت أن المراد بالأسقف والقسيس شخص واحد، الأمر الذي لا يدع مجالاً لهذه الدعوى، فإن الكتاب المقدس لا يدعو الأسقف قسيساً حتى كان يجوز للمسيحيين المذكورين أن يتذرّعوا بها، بل يدعو القسيس أسقفاً كما يتّضح من (الأعمال ٢٠: ١٧-٢٨)، وهذا لا يجوز إلاّ إذا كان القسيس الأسقف بعينه. فإذا أضفنا إلى ذلك، أنه ليست هناك آية واحدة تنص على أن الرسل أقاموا في بلدة ما أساقفة وقسوساً، أو أنه اجتمع في مكان واحد أساقفة وقسوس، لا يبقى هناك مجال للشك في أن الأسقف هو القسيس بعينه كما ذكرنا ــ وقد أشار إلى هذه الحقيقة الراهب الفاضل متى المسكين فقال "يستخدم سفر الأعمال كلمة قسوس وأساقفة معاً لنفس الأشخاص، باعتبار أن القسوسية اسم وظيفة، والأسقفية طبيعة عملها" (المواهب ص ٣٣).

هذا وقد عرف القدماء أيضاً هذه الحقيقة، فقال اقليمس أسقف روما في القرن الأول "إن أصحاب الرتب هم الأساقفة والشمامسة، وقد يدعون مجلس الشيوخ" (تاريخ الآباء في القرون الثلاثة الأولى ص١٥). فاقليمس لم يذكر قسوساً، مع

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الأساقفة والشمامسة، الأمر الذي يدل في ضوء ما ذكرناه على أن الأساقفة كانوا هم القسوس أنفسهم، كما أن قوله إن الأساقفة مع الشمامسة كانوا يدعون مجلس الشيوخ يدل على أن الشمامسة لم يكونوا أولاداً، بل كانوا مع الأساقفة ينتخبون من الأشخاص المتزوجين، والذين لهم أولاد أيضاً كما ذكرنا فيما سلف. ومن ثم ليس هناك مجال للحجة التي أمامنا.

٣- [إن الله أمر موسى قديماً أن يتخذ يشوع بن نون خليفة له. كما أن الرسل أقاموا متياس ليكون واحداً معهم عوضاً عن يهوذا الإسخريوطي الذي خنق نفسه. وهذا دليل على أن الله يريد أن يكون هناك خليفة للأنبياء والرسل ليتولوا قيادة المؤمنين].

الرد: (أ) إن موسى لم يتخذ من تلقاء نفسه يشوع خليفة له. بل الله هو الذي أمره بتعيينه في هذا المركز (العدد ٢٧: ١٨). لأنه تعالى لم يشأ أن يقوم موسى بإدخال اليهود قديماً إلى كنعان، وذلك بسبب ما أبداه مرة من عدم الإيمان (العدد ٢٧: ١٣-١٤، يشوع ١: ٢). ولكن نظراً لأن يشوع تمم العمل الذي عينه الله لأجله، لم يطلب تعالى منه أن يقيم أحداً في مكانه ليكون خليفة له.

ومما يثبت أن الله لم يشأ مطلقاً أن يكون هناك رؤساء على المؤمنين سواه، بل أن يظلّ تعالى هو وحده الرئيس عليهم والقائد لهم، أنه عندما طلب اليهود من صموئيل النبي بعد ذلك أن يقيم لهم ملكاً يتقدم جيوشهم في الحروب (وإن كان طلباً مثل هذا لا غبار عليه من وجهة نظر الحكمة البشرية)، اعتبره الله رفضاً منهم لسيادته عليهم. إذ أن علاقتهم به كشعبه، كانت تقضي عليهم أن يعتمدوا عليه في كل أمورهم. لأنه تعالى

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

فضلاً عن وجوده معهم وقتئذٍ في كل حين، كان هو الكفيل بإمدادهم بكل معونة يحتاجون إليها، طالما كانوا سالكين بالأمانة أمامه.

(ب) أما الرسل فقد أقاموا متياس معهم لكي يبقى عددهم اثني عشر، كما كان من قبل (أعمال ١: ١٥-١٦)، وليس لكي يكون متياس خليفة ليهوذا الإسخريوطي، لأن هذا لم يكن بالشخص الذي يقام له خليفة ــ إن كان من الواجب أن يكون هناك خلفاء للرسل ... لكن لو كان الله قصد حقاً أن يكون هناك خلفاء لهم، لكان قد أمرهم بتعيين خليفة ليعقوب الرسول الذي استشهد في سبيل نشر الإنجيل (أعمال ١٢: ٣، متى ٤: ٢١). وبما أنه لم يأمرهم بذلك، لا يبقى هناك مجال للقول بأحقية الخلافة الرسولية.

٤- [إن التاريخ يثبت أن بطاركة الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية هم خلفاء الرسل، لأنهم هم الذين تولوا قيادة المؤمنين بعد انتقال الرسل إلى السماء].

الرد: (أ) لو كان الرسل قد أقاموا خلفاء لهم. لكان يوجد في أول الأمر ١٣ خليفة (لأن الرسل بعد صعود المسيح إلى السماء كانوا، بإضافة متياس وبولس، ١٣ رسولاً)، أو بالحري لكان يوجد (١٣ + ٧٠) ٨٣ خليفة (لأن مرقس أحد السبعين رسولاً له، كما يُقال، خليفة خاص به) ؛ ولكن بالرجوع إلى التاريخ، نرى أنه لم هناك لغاية القرن الخامس سوى خمسة أشخاص، كما يقال إنهم بطاركة أو خلفاء للرسل، وكان هؤلاء يُقيمون في روما والقسطنطينية والإسكندرية وأنطاكية وأروشليم[٧]، وهذا

[٧] – عن: المسيحية في القرون العشرة الأولى ص١١٤-١١٥، والكنيسة من البدء إلى القرن العشرين ص٩٥.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

دليل واقعي على أنه لا الرب أمر تلاميذه بإقامة خلفاء لهم، ولا هم أقاموا مثل هـــؤلاء الخلفاء.

(ب) فإذا أضفنا إلى ذلك (أولاً) أن شخصاً ينتخب بواسطة رجال الدين أو أفراد الشعب لكي يصبح خليفة لرسول ما، لا يكون خليفة له إلاّ من الناحية الإسمية، لأن الخليفة الحقيقي للرسول هو المعين بواسطته شخصياً للخلافة، وذلك بناءً على أمر الله نفسه، كما كانت الحال في إقامة يشوع بواسطة موسى النبي. (ثانياً) إن الأشخاص الذين يقال إنهم خلفاء للرسل ليسوا مملوئين من الروح القدس مثل الرسل، أو حاصلين على مواهب روحية أو معجزية مثل مواهبهم، اتضح لنا أن وجودهم في مراكـــزهم لا يقوم على أساس كتابي أو عقلي.

الاعتراضات والرد عليها

١- [إن مواهب الرسل كانت وقفاً عليهم. ومن ثم فعدم توافرها في البطاركة لا يمنع من كونهم خلفاء للرسل].

الرد: إن من يشغل مركزاً، يجب أن يكون حاصلاً على المواهب (أو بالحري المؤهلات) الخاصة به، وإلاّ فلا يليق به أن يشغله.

٢- [إن هؤلاء البطاركة يعينون بعد الصلاة وعمل القرعة، ومن ثم يكـــون تعيينهم بواسطة الله نفسه].

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الرد: (أ) بالرجوع إلى الكتاب المقدس، يتضح لنا (أولاً) أن الصلاة المستجابة يجب أن لا تكون فقط صادرة عن إيمان وإخلاص ولجاجة وحياة مقدسة، بل يجب أن تكون أيضاً حسب مشيئة الله (١ يوحنا ٥: ١٤) وبما أن الله لم يشأ أن يكون هناك خلفاء للرسل، لذلك فإن الصلاة إليه لكي يختار خليفة لواحد منهم، لا تحظى بأي قبول لديه. (ثانياً) إن الرسل لم يلجأوا إلى القرعة إلاّ قبل حلول الروح القدس عليهم. أما بعد ذلك فلم يلجأوا إليها على الإطلاق، سواء في اختيار الأساقفة، أو في الانتقال من مكان إلى مكان أو ... أو ... لأن الروح القدس كان يعلمهم كل شيء (يوحنا ١٤: ٢٦) كما كان يأخذ من المسيح ويخبرهم (يوحنا ١٦: ١٤). وهكذا يجب أن يكون الحال معنا، لأن هذا الروح نفسه سكن فينا بمجرد إيماننا بالمسيح إيماناً حقيقياً (١كورنثوس ٦: ١٨)، ولذلك نستطيع الإفادة من هديه كما استطاعوا. فإذا أضفنا إلى ما تقدم، أن القرعة لم يكن يلجأ إليها أحد إلاّ في الموضوعات التي لم يعلن الله مشيئته من جهتها. لكن من جهة الموضوع الذي نحن بصدده أعلن أنه لا يشاء أن يكون هناك خلفاء للرسل، لذلك يكون الالتجاء إلى القرعة لاختيار هؤلاء الخلفاء، باطل من أساسه.

(ب) ولو فرضنا جدلاً أنه يجوز استعمال القرعة في العهد الجديد بشأن ما يدعى الخلافة الرسولية، لكان الواجب على القائلين بها أن لا يعملوها بين من وقع عليهم اختيار الشعب فحسب، بل أن يضيفوا إلى الأوراق التي عليها أسماء المختارين منه، أوراقاً أخرى ليست عليها أسماء، إذ من المحتمل أن يكون الله غير موافق على واحد من هؤلاء المختارين. لكن الذين يعملون القرعة يقيدون الله بتعيين واحد من الذين

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

اختارهم الشعب، والحال أن الله لا يتقيد بقيد ما ؛ ومن ثم يكونون هم الذين عينوا البطاركة وليس الله.

كيفية تكون الخلافة الرسولية

إذا رجعنا إلى العصر الرسولي، نرى أنه على الرغم من روح الوداعة الطيبة التي كان ينشرها الرسل في كل مكان في أول الأمر، كان يظهر حتى في أيامهم أشخاص يريدون أن يكونوا رؤساء على المؤمنين، كما يتضح مما يلي:

١- فقد أراد شخص يدعى ديوتريفس أن يكون الأول بين جماعة المؤمنين. لا بل وقد بلغ به الغرور حداً بعيداً، حتى أنه رفض أن يقبل رسولاً من رسل المسيح يعتبر أوفرهم محبة وأكثرهم وداعة، ألا وهو يوحنا الحبيب. فضلا عن ذلك، كان لا يقبل الإخوة ــ أو بالحري المؤمنين الحقيقيين الذي لا يتخذون لهم رئيساً سوى الرب، سواء في العبادة أو الخدمة (٣ يوحنا ٩: ١٠) لكي يتفرد بالرياسة فيهما معاً.

٢- والمؤمنون في كورنثوس الذين منحهم الرب من المواهب ما لم يمنحه لغيرهم، وكنا ننتظر أن يكونوا جميعاً أكثر المؤمنين تواضعاً، ظهر بينهم أشخاص امتلئوا زهواً وكبرياء، فأهانوا بولس الرسول وادعوا أنهم رؤساء الشعب وممثليه (٢ كورنثوس ١٠: ١٢).

٣- والنقولاويون (أو بالحري المنتصرون على الشعب) تمردوا على أصحاب المواهب الروحية، وبثوا التعاليم الفاسدة بين بعض المؤمنين، وادعوا أن لهم دون غيرهم

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

حق الرياسة الدينية (رؤيا ٢: ٦ و ١٥)، ومن ثم بسطوا نفوذهم على هؤلاء المؤمنين واقتادوهم إلى الضلال الأدبي والتعليمي[٨]. وإذا رجعنا إلى القرنين الثاني والثالث نرى:

١- إن الإنجيل كان قد انتشر في أول الأمر في المدن الكبيرة فحسب، ومن ثم كان الأساقفة أو القسوس يقيمون جميعاً هناك. ولما انتقلت الكرازة بالإنجيل إلى القرى بعد ذلك، أقاموا أشخاصاً عرفوا بأساقفة أو قسوس الأقسام، لكي يرعوا المؤمنين في هذه القرى. ومن ثم كان أساقفة القرى أو قسوسها يعتبرون أقل مرتبة من أساقفة أو قسوس المدن.

٢- إن بعض أساقفة أو قسوس المدن أخذوا يتطاولون للرياسة على البعض الآخر. وكان أمراً طبيعياً أن تؤول الرياسة، في العالم الشرير الذي نعيش فيه، ليس إلى أتقاهم، بل إلى أعظمهم سيطرة وتأثيراً وكان أمراً طبيعياً أيضاً أن لا يرضى هذا الشخص بأن يشترك مع إخوانه في لقب واحد. ومن ثم احتكر لنفسه لقب أسقف، الذي يدل على النظارة، وترك لهم لقب "القسوس". وذلك للتمييز بينه وبينهم، مع أن الأسقف هو القسيس والقسيس هو الأسقف كما ذكرنا !! فقد قال جيروم المؤرّخ الكاثوليكي المتوفى سنة ٤٢٠م "كان القسيس عند القدماء هو الأسقف، ولكن

---

[٨] – ذهب البعض إلى أن زعيم النقولاويين هو نقولاوس أحد الشمامسة الذين أقامهم تلاميذ المسيح للعناية بالأرامل (أعمال ٦: ٥). لكن ليس هناك أي دليل تاريخي يثبت ما ذهبوا إليه. لأن الاسم الواحد قد يطلق على شخص بار كما يطلق على شخص شرير. لكن ما أجمع عليه المؤرخون هو أن النقولاويين هم النواة التي تكونت منها جماعة الغنوسيين. وقد تحدثنا عنهم كثيراً في كتاب "صلب المسيح ــ وموقف الفلاسفة الغنوسيين إزاءه".

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

بالتدريج نبتت بذور النـــزاع بين القسوس، فوضعت مهام القيادة في يد شخص واحد، دعي وحده الأسقف" (المبادئ الإلهية ص٦٥).

وقال غيره "إنه بعد انتقال الرسل إلى السماء بسنوات، استحـــسن كـــثير مـــن القسوس أن يقيموا لهم رئيساً مشهوراً بالرزانة والتقوى والفطنة لكي يـــوزّع علـــيهم أعمالهم، ويوحد صفوفهم. وقد أطلقوا على هذا الشخص وحـــده لقـــب أســـقف، واحتفظوا لأنفسهم بلقب القسوس. ومن ثم أصبح الأسقف هو رئيس القسوس الذي يقوم بتعيينهم في وظائفهم وصرف مرتباتهم وتأديبهم عند تقصيرهم (تاريخ الكنيـــسة لموسهيم ص٢٧ و ٣١ و ٣٢ و ٦٣ و ٦٤ و ١١٢)، مع أن القسوس لم يكونـــوا في العصر الرسولي يخضعون إلاّ للرب وحده، ولا ينفذون إلا إرادته وحده، كما كانوا مع قيامهم بالخدمات الروحية، يمارسون حرفهم وأعمالهم الخاصة، لكي يعولـــوا أنفـــسهم وعائلاتهم.

وقد أشار الراهب الفاضل متى المسكين إلى هذه الحقيقة فقال "وبمرور الزمن صار من المحتم إقامة واحد من القسوس يتقدمهم. وصار هذا المتقدم له اختصاصات النظارة العليا، فاختص بلقب الأسقف دون غيره، ومن هنا بدأت كلمة أسقف تأخـــذ معـــنى مفضلاً عن القس. وبالتالي بدأت اختصاصات الأسقف تتميز عن اختصاصات القـــس باعتبار الأسقف رئيساً على الكنيسة كلها ... ولكن في البدء لم يكن هناك تفريق بـــين كلمة القس وكلمة الأسقف في شيء" (المواهب الكنسية ص٣٣).

٣- ولما ازداد عدد الأساقفة في القرن الثالث، انتخب أساقفة كل قطر رئيـــساً لهم، دعي "رئيس الأساقفة" ليتولى تنظيم أعمالهم وتوحيد صفوفهم ثم تـــشكل هـــذا

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

اللقب بأشكال مختلفة، فدعا أحد رؤساء الأساقفة نفسه "بطريركاً". وهذه الكلمة معناها "رئيس عشيرة "، وكانت تطلق على نوح وإبراهيم وإسحق ويعقوب وغيرهم من الآباء الذين عاشوا قبل اليهودية. ودعا آخر نفسه "بابا "، وهذه الكلمة معناها " أب آباء "، وهي مستعارة من اليهودية، فداود النبي كان يدعى "رئيس الآباء" (أعمال ٢: ٩). واستحسن غيره أن يدعو نفسه "حبراً "أي عالماً. وهذا اللقب كان يطلق قديماً على أعظم كهنة الوثنيين مقاماً. وقد أشار إلى ذلك كتاب (اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة حـ٢ ص٢٧٣).

٢

الحجج الخاصة برياسة اجتماعات العبادة، والرد عليها

١- [إن العبادة تتطلب وجود أشخاص يقودون المؤمنين في تأديتها، وهذا ما يثبت وجوب وجود خلفاء للرسل، أو رؤساء روحانيين].

الرد: إذا رجعنا إلى الكتاب المقدس، نرى أن القسوس أقيموا لرعاية المؤمنين ووعظهم ولتوبيخ المناقضين الذين يظهرون بينهم كما ذكرنا فيما سلف، وليس لقيادة العبادة، كما يقول أصحاب هذه الحجة، ويرجع السبب في ذلك إلى ما يأتي:

(أ) وجود الرب في وسط المؤمنين الحقيقيين عند العبادة: فقد قال إنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمه، فهناك يكون في وسطهم (متى ١٨: ٢٠) ووجود الرب في وسطهم ليس مجرد عقيدة دينية، بل إنه قبل كل شيء حقيقة واقعة، لأن المسيح لا يحدثنا عن عقائد لا حقيقة لها. وإذا كان الأمر كذلك، فإن حاجتنا إلى رؤساء من البشر

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يرأسون العبادة أو ينظمونها (كما يقال أحياناً دون أي وعي روحي)[٩]، بل إلى الارتقاء بالإيمان إلى الحالة الروحية التي نستطيع معها إدراك حقيقة وجود المسيح بلاهوته في وسطنا وبذلك نختبر سيادته القدسية على قلوبنا، هذه السيادة التي تملؤنا خشوعاً وورعاً أمامه، كما تهيئنا للحصول على ما نحتاج إليه من تعزية وبركة.

(ب) عمل الروح القدس في القلوب: فهو يسكن في قلوب المؤمنين الحقيقيين (١كورنثوس ٦: ١٩). وعندما يكونون في حالة الخضوع الكلي له، يهيئهم لتقديم العبادة اللائقة بالله، والتي يعجزون عن تقديم مثلها من تلقاء أنفسهم. فقد قال الرسول "وكذلك الروح أيضاً يعين ضعفاتنا لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي، ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات[١٠] لا ينطق بها" (رومية ٨: ٢٦). وقد أشار المسيح له المجد إلى هذه الحقيقة من قبل فقال "الله روح، والذين يسجدون له، فبالروح والحق

---

[٩] – فكثيراً ما نسمع من القائلين بالخلافة الرسولية، إن الأنبا "فلان "سيرأس الصلاة. وكأن الصلاة أصبحت في نظرهم حفلة يرأسها رئيس بشري، وليست علاقة روحية مباشرة بين كل واحد من المؤمنين وبين الله.

[١٠] – يقول بعض المسيحيين إن شفاعة الروح القدس فينا، يراد بها أن يصلي نيابة عنا، ومن ثم يطلقون على شفاعته اسم "شفاعة نيابية "ــ والحال أن الروح القدس لا يصلي نيابة عن أحد إذ أن المعنى الأصلي للشفاعة كما يقول علماء اللغة اليونانية "هو المساعدة المتبادلة بين اثنين، يحملان حملاً واحداً". فمن يتقدم للصلاة من المؤمنين الحقيقيين بإخلاص، يتلقى المعونة من الروح القدس على أدائها كما يريد الله. أما من لا يتقدم للصلاة بإخلاص، لا يتلقى من الروح القدس مثل هذه المعونة، ومن ثم لا تكون صلاته مقبولة أمامه تعالى.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ينبغي أن يسجدوا" (يوحنا ٤: ٢٤). وبذلك يمكن حتى للأميين من المؤمنين الحقيقيين أن يقدموا لله العبادة الروحية المقبولة أمامه.

وقد عرف المؤمنون الحقيقيون منذ القديم أهمية الصلاة بالروح القدس، فقال الشيخ الروحاني إن نفسه تتحرك بابتهاج بفعل الروح القدس فيها، فتتأمل في الله وتتحد به. وقال القديس غريغوريوس إن الصلاة في المبتدئين تشبه ناراً تندلع من قلوبهم، ولكن في الكاملين تشبه نوراً يفيح عطراً يملأ قلوبهم. وقال غيره إن الدرجة الثانية في الصلاة العقلية هي صلاة التأمل بالروح، وهي تاج الحياة الروحانية. وقال مار إسحق السرياني إن الصلاة بالروح تجعل الله حقيقة ملموسة للنفس، تهيئها للاتصال الحقيقي به. وقال أيضاً إن الصلاة الروحانية هيمن فعل الروح القدس وتدبيره، وليس من فعل الإرادة البشرية وسلطانها. وقال غيره عن هذه الصلاة إنها مصدر سرور خفي في الباطن، وفرح وطرب في القلب، واشتياق ملتهب نحو الله، وتهليل داخل النفس لا ينقطع. وقال آخر إن القديسين عندما وجدوا أن هذا الروح يسكن فيهم، رفعوا إلى الرب شكراً عظيماً.

فضلاً عن ذلك فقد عرف هؤلاء المؤمنون أن المصدر الذي نستمد منه الصلاة، ليس هو العقل أو الاختبار أو أقوال القديسين الذين سبقونا، بل إنه كلمة الله دون سواها فقالوا "المنبع الذي يلقن منه الروح القدس دروس الصلاة ، هو الكتاب المقدس. إذ بدون القراءة في الكتب الإلهية، لا يمكن للذهن أن يدنو من الله" (حياة الصلاة الأرثوذكسية ٢١ و ٢٩ و ٣٧ و ٤٠ و ٤٨ و ٧٠ و ٨٧ و ١٦٢ و ١٨٢ و

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

١٨٧). ويرجع السبب في ذلك إلى أن هذه الكتب هي أقواله، ومن ثم فإنه يقودنا لاستخدامها دون سواها عند الصلاة.

(ج) كلمة الله والمواهب الروحية: وإن كان الرب قد سمح بوجودنا في عصر لا رسل فيه أو أنبياء، لكنه أبقى لنا كلمته، كما أبقى لنا كلمته، كما أبقى لنا المواهب الروحية اللازمة لنا في العالم الحاضر. فمن جهة كلمة الله، فإنها ملاذنا الوحيد لأنها هي التي تبنينا وتعطينا ميراثاً مع جميع القديسين (أعمال ٢٠: ٢٣). كما أنها حية وفعّالة وأمضى من كل سيف ذي حدين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ، ومميزة أفكار القلب ونياته (عبرانيين ٤: ١٢). ولذلك عندما نضع نفوسنا تحت تأثيرها، تستطيع بقوة الروح القدس أن تطهّرنا من كل شر يمكن أن يكون فينا، لأن هذه الكلمة توبخنا وتؤدبنا لكي نكون كاملين متأهبين لكل عمل صالح (٢ تيموثاوس ٣: ٧)، وبذلك تهيئنا لتقديم العبادة اللائقة بجلال الله وقداسته.

ومن جهة المواهب، فقد أبقى الله بيننا المبشرين الذين ينيرون طريق الخلاص أمام الخطاة، والرعاة الذين يهتمون بأمر الذين يخلصون منهم، والمعلمين الذين يفصلون لهم كلمة الحق بالاستقامة، والوعاظ الذين يحثونهم بعد ذلك من وقت لآخر على حياة التقوى والقداسة، التي تتوافق مع مشيئة الله (أفسس ٤: ١١-١٢، ١كورنثوس ١٢: ٤، رومية ١٢: ٦-٨). وأصحاب المواهب هؤلاء اقتداءً بالرسل، لا يأخذون مركز الرياسة على المؤمنين أو الوساطة بينهم وبين الله. كما أنهم لا يجمعون المؤمنين حولهم كرعية أو طوائف تحت أسماء خاصة، بل يوجهونهم إلى الرب لكي يكون هو الكل في

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الكل لديهم. كما أنهم لا يتكلمون عنه من عندياتهم، بل بإرشاد الروح القدس الساكن فيهم، وبالحري في حدود الكتاب المقدس الموحى به من لدنه.

(د) فإذا أضفنا إلى ذلك (أولاً) أن الله يريد أن يكون جميع المؤمنين الحقيقيين في حالة الصلة الروحية به والطاعة التامة لإرشاده، والاهتمام المتواصل بدراسة كلمته والسير على مقتضاها، والتهيؤ عن طريق الاجتهاد والصلاة الخاصة للحصول على مواهب روحية منه (١ كورنثوس ١٢: ٣١، ١٤: ١)، حتى يستطيع كل واحد منهم أن يعطي إظهار الروح للمنفعة (١كورنثوس ١٢: ٧). (ثانياً) أن اعتماد المؤمنين في شؤونهم الروحية على رئيس ديني منظور، يؤدي إلى تفرده بالصلاة والوعظ، مما يبطل عمل الروح القدس فيهم ويخمد المواهب الروحية التي أعطاها لهم بمجرد إيمانهم إيماناً حقيقياً، وتكون النتيجة الحتمية لذلك أنه إذا غاب هذا الإنسان بسبب سفر أو مرض أو موت مفاجئ، تتعطل الصلاة والخدمات الروحية العامة ولو إلى حين، مثلما يحدث بين الجماعات التي تعتمد على أمثاله، أدركنا أهمية اتصال المؤمنين الحقيقيين بالله اتصالاً مباشراً في العبادة، كما أدركنا خطر اعتمادهم فيها على رئيس ديني بينهم أياً كان مقامه.

(هـ) أخيراً نقول إن النظام في الصلاة (كما يقول البعض) لا يتجلى في رياسة إنسان ما على اجتماعات العبادة حتى يكون هو، أو النائب عنه، القائد للمجتمعين في الصلاة والترانيم، والقائم بالوعظ والتعليم، ويكون المجتمعون في حالة الصمت والسكون أمامه. بل أن النظام في العبادة أمام الله هو خضوع العابدين بقلوبهم له،

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وانقيادهم التام بروحه، وذلك في الصلاة والترنيم، والوعظ والتعليم. إذ بهذه الوسيلة تسير العبادة حسب مشيئته، فيتمجد هو ويكرم، وبتمجيده وإكرامه، يتباركون هم بكل بركة.

(و) وقد أشار الراهب الفاضل متى المسكين إلى العبادة والخدمة في العصور الأولى فقال "فالعبادة المسيحية كانت تمارس داخل الكنيسة بحرية روحية كاملة، وكانت الجماعة تنمو نمواً مكشوفاً تلقائياً غير مصطنع وغير مدرسي قط. فكان كل من يدفعه الإلهام للكلام أو الشهادة أو تعزية الجماعة، كان مأذوناً له أن يتكلم وأن يعبر عما يحسه" (المواهب الكنسية ص٢٢).

وما دام الأمر كذلك، لا تكون هناك حاجة إلى رؤساء روحانيين (كما يقال)، لكي يرأسوا الصلاة أو ينظموها لنا كما ذكرنا. وإذا قمنا بتعيين أمثالهم من تلقاء أنفسنا، يعتبر عملنا هذا عصياناً لمشيئة الله ورغبة منا في تسيير عبادتنا له، حسب آرائنا البشرية، وليس حسب كلمته التي أعطاها لنا ــ وتصرف مثل هذا يعتبر أشرّ من تصرف بني إسرائيل قديماً، في طلبهم ملكاً يتقدم جيوشهم (١صموئيل ٨). لأن الحرب عمل مادي، يتطلب على أي حال وجود قائد منظور يخوضها أمام الجنود. بينما العبادة، بالإضافة إلى أنها عمل روحي محض، فهي صلة مباشرة بيننا وبين الله، الأمر الذي لا يدع مجالاً لوجود رؤساء يؤموننا فيها أمامه.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

مما يتقدم يتّضح لنا أن الذين يشعرون بحاجة إلى رئيس بشري يؤمهم في الصلاة ويلقي عليهم كلمة الله، هم المؤمنون بالاسم الذين ليست لهم علاقة حقيقية مع الله، أو المؤمنون الحقيقيون الذين بسبب فتورهم الروحي يعجزون عن الشركة الروحية المباشرة معه. وفي هذه الحالة لا يكون هؤلاء أو أولئك في الواقع أشخاصاً عابدين لله، بل مجرد مستمعين أو تابعين للرئيس البشري المذكور.

الباب الثاني
الحجج الخاصة بضرورة إقامة رجال الدين
بواسطة وضع الأيادي عليهم

١
المعنى الصحيح لعبارة وضع الأيادي الواردة في الرسالة إلى العبرانيين

يقول الذين يؤمنون بالخلافة الرسولية إن "وضع الأيدي" هو من الأعمال التي أمر الوحي بوجوب ممارستها في العهد الجديد، للمحافظة على هذه الخلافة فيه، معتمدين في ذلك على عبارة الرسول "لذلك ونحن تاركون كلام بداءة المسيح لنتقدم إلى الكمال [غير واضعين أيضاً أساس التوبة من: الأعمال الميتة والإيمان بالله، تعليم المعموديات، ووضع الأيادي، قيامة الأموات والدينونة الأبدية]، وهذا ما سنفعله إن أذن الله" (عبرانيين ٦: ١-٣) - ولإيضاح معنى هذه العبارة نقول:

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

إذا أمعنا النظر فيها نرى (أولاً) أن الكلام الذي وضعناه بين [ ] هو كلام معترض، يستبعد به الرسول الأعمال التي يجب أن لا تكون أساساً للتوبة (ثانياً) أن قوله "وهذا سنفعله إن أذن الله"، ليس متعلقاً بوضع الأيادي، أو أي عمل من الأعمال التي وضعناها بين [ ]، بل هو تكملة لقوله "... لنتقدم إلى الكمال". ومن ثم يكون المعنى التفصيلي للعبارة المذكورة هو:

١- "لذلك ونحن تاركون كلام بداءة المسيح ": إن "كلام بداءة المسيح "، ليس هو التعليم الذي نادى به في بداءة خدمته على الأرض والوارد في (متى ٥و٦و٧) مثلاً، لأن هذا التعليم يجب أن لا نتركه، بل أن نطبقه عملياً على حياتنا، مثل أي تعليم آخر، نادى به له المجد في كل مرحلة من مراحل وجوده على الأرض، طالما أنه ليس متعلقاً بعقائد يهودية كان المسيح قد وافق عليها وقتئذٍ[١١] بصفة مؤقتة، بسبب عدم قيامه بعد بالتكفير عن الخطية. لكن "كلام بداءة المسيح الذي يجب تركه" هو بداءة أقوال الله" (عبرانيين ٢: ١٢) أو كلامه عن المسيح "[١٢]، أو بالحري هو الفرائض التي كان تعالى قد أمر اليهود بممارستها في العهد القديم رمزاً إلى المسيح وخلاصه الحقيقي من الخطية ونتائجها. لأن الرموز يجب أن تترك إذا جاء المرموز إليه، كما أن الظلال يجب أن تهجر إذا أتت الحقيقة التي كانت تومئ إليها ــ وقد نبّه الرسول أذهان المؤمنين

---

[١١] – فهو له المجد بعد ما شفى الأبرص (مثلاً) أوصاه بتقديم القربان الذي أمر به موسى (متى ٨: ٤)، مع أن هذا القربان لا مجال له على الإطلاق في المسيحية الآن، لأنه لم يكن إلاّ رمزاً إلى كفارة المسيح، كما ذكرنا في كتاب كهنوت المسيح.

[١٢] – لأن هذا هو ما يدل عليه الأصل اليوناني، كما تدل عليه الترجمات الأجنبية جميعاً.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

العبرانيين (وهم من كتب لهم الرسالة المقتبسة منها العبارة التي نحن بصددها)، دون غيرهم من المؤمنين إلى هذا الموضوع، لأنهم حتى بعد إيمانهم بالمسيح كانوا في كثير من الأحيان يحاولون العودة إلى الفرائض والطقوس التي توارثوها عن أجدادهم (غلاطية ٢: ١٦، ٣: ٢، ٤: ١٠) خوفاً من الاضطهاد الذي كان يحلّ بهم من ذويهم.

٢- "لنتقدم إلى الكمال": إن الرسول يحرض المؤمنين من العبرانيين هنا، ليس على الكمال في السلوك (وإن كان هذا أمراً واجباً على كل المؤمنين مهما كانت أجناسهم)، بل يحرضهم على إدراك كمال أو إتمام الفرائض والطقوس السابق ذكرها في المسيح وكفارته الثمينة. حتى يستطيعوا التمتّع أمام الله بالكمال الذي لهم في شخصه له المجد، بوصفه نائبهم وممثلهم أمامه، وما يتبع ذلك من تمتعهم براحة الضمير وسلام القلب. لأن الكمال أمام الله لا يكون بواسطة القيام بالفرائض الدينية أو الأعمال الصالحة [إذ أننا مهما أكثرنا من هذه وتلك، لا نبلغ الكمال الذي يريده الله، بل نظل عبيداً بطالين أو عاطلين لأننا لا نكون قد عملنا أكثر مما يجب علينا (لوقا ١٧: ١٠)]، بل بواسطة الإيمان الحقيقي بالمسيح أو بالحري الوجود في شخصه المبارك أمام الله (أفسس ١: ٣-٧). ولذلك كان غرض الرسول من الكرازة بالإنجيل أن يحضر كل إنسان كاملاً في المسيح يسوع (كولوسي ١: ٢٨)، لأن المؤمنين الحقيقيين يكونون مملوئين (أو بالحري كاملين إلى النهاية) في شخصه المبارك (كولوسي٢: ١٠).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٣- "غير واضعين أساس التوبة ": أي يجب أن لا يؤسسوا التوبة فيما بعد، من الأمور التي كانوا يعتمدون عليها في العهد القديم، وهذه الأمور كما يعلن الوحي هي:

(أ) "الأعمال الميتة ": وهذه الأعمال هي الفرائض والطقوس اليهودية[١٣] التي كانت فيما سلف من علامات التوبة. لكن نظراً لأن هذه وتلك كانت مجرد رموز إلى كفارة المسيح، أصبحت جميعها بلا قيمة أمام الله بعد هذه الكفارة.

(ب) "الإيمان بالله ": كان الإيمان بالله بصفة عامة في العهد القديم، أساساً من أسس التوبة (خروج ٢٠: ٣)، لأن هذا الإيمان كان هو الذي يميز بين المؤمنين وبين الوثنيين. أما في العهد الجديد، فأساس التوبة والاتصال بالله، لكل الناس يهوداً كانوا أو

---

[١٣] - ومن الأعمال الميتة في الوقت الحاضر، الصدقات والأصوام التي يقوم بها المؤمنون بالاسم كمجرد واجبات دينية، لأنها لا تقضي على الخطية الكامنة فيهم، كما أنها ملوثة بنقائص متعددة مثل التقتير والتباهي، والمصلحة الذاتية (كتجنب عقاب الله والحصول على ثوابه) الأمر الذي يجعلها بلا جدوى أمامه من الناحية الروحية الأبدية. فضلاً عن ذلك فإن هذه الأعمال محدودة في قيمتها، بينما حق الله الذي أساؤوا إليه بعمل الخطيئة، لا حدّ لقيمته، والأشياء المحدودة في قيمتها لا تفي حقاً لأحد لقيمته، لذلك فإن الأعمال المذكورة لا يمكن أن تكون وسيلة للحصول على الغفران، لأن الله كما هو رحيم، هو عادل أيضاً، وذلك لكماله المطلق في ذاته وفي كل صفة من صفاته. أما الذي وفى مطالب عدالة الله التي لا حدّ لها، فهو المسيح، وذلك بكفارته التي قدمها على الصليب (يوحنا ١٩: ٢٠) ومن ثم كان الخلاص من الخطيئة هبة مجانية من الله على أساس هذه الكفارة، وكان في وسعنا الحصول عليه بواسطة الإيمان الحقيقي (رومية ٣: ٢٤)، كما ذكرنا بالتفصيل في كتاب " فلسفة الغفران".

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

غير يهود، هو الإيمان بأنه تعالى مع وحدانيته هو "الآب والابن والروح القدس "[١٤]، وضمنا هو الإيمان بلاهوت المسيح وتجسده لأجل خلاصنا. ولذلك يقول العهد الجديد "لأن كل من ينكر الابن، ليس له الآب أيضاً. ومن يعترف بالابن، فله الآب أيضاً" (١ يوحنا ٢: ٢٣). كما يقول "الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله" (يوحنا ٣: ٣٦).

(جـ) "تعليم المعموديات": المعموديات هنا، لا يراد بها المعمودية المسيحية، لأن هذه واحدة لا ثاني لها. فمكتوب "رب واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة" (أفسس ٤: ٥). كما أن هذه المعمودية يجب أن لا تهمل أو تترك، بل أن تمارس طوال العهد الجديد (متى ٢٨: ١٩). إنما المعموديات بالجمع هي الغسلات اليهودية التي كانت تستعمل قديماً للتطهير الطقسي (خروج ١٩: ١٠)[١٥]. ولذلك فإن التعليم الخاص بها يجب أن لا يبقى له مجال في المسيحية، لأن التطهير فيها، هو تطهير النفس من أدرانها بواسطة وضعها تحت تأثير كلمة الله الحية الفعالة (يوحنا ١٥: ٣)، وذلك بعد الإيمان بالمسيح إيماناً حقيقياً.

(د) "وضع الأيادي ": كان اليهود يضعون أيديهم قديماً على الذبائح الكفارية التي يقدمونها لله عن خطاياهم، وكانوا يشعرون في تصرفهم هذا براحة لضمائرهم، لأن هذا العمل كان رمزاً إلى انتقال براءة هذه الذبائح إليهم (إن كانت ذبائح محرقة) أو

---

[١٤] – درسنا هذا الموضوع بالتفصيل في كتاب "الله ــ ذاته ونوع وحدانيته".

[١٥] – لأن كلمة "العماد "يراد بها في أصلها السرياني "الاغتسال".

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

انتقال خطاياهم إليها (إن كانت ذبائح إثم وخطية)، وصيرورتهم تبعاً لذلك أبراراً أمام الله على أساس حرق هذه الذبائح وتلك نيابة عنهم. (لاويين ١: ٤، ٣: ٢، ٤: ٤، خروج ٢٩: ١٠)، كما ذكرنا بالتفصيل في كتاب "كهنوت المؤمنين". لكن التصرف المذكور لا مجال له في الوقت الحاضر، لأن الله وضع خطايانا على المسيح (إشعياء ٥٣: ٦). والمسيح تبارك اسمه قبل قصاصها عوضاً عنا (إشعياء ٥٣: ٤)، ومن ثم فكل من يؤمن به إيماناً حقيقياً، يحسب باراً (رومية ٥: ١)، كما أنه لا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة (يوحنا ٥: ٢٤).

(هـ) "قيامة الأموات والدينونة الأبدية ": وهاتان الحقيقتان كانتا من البواعث التي تدفع العبرانيين على التوبة في العهد القديم. لكن في ضوء العهد الجديد، نعلم (أولاً) أن هناك قيامتين للأموات، وليس قيامة واحدة لهم ؛ القيامة الأولى هي للمؤمنين الحقيقيين، وهذه لا تتبعها دينونة، بل حياة سعيدة مع الله إلى الأبد (رؤيا ٢: ٥). أما القيامة الثانية فهي للأشرار والمؤمنين بالاسم معاً، وهذه تتبعها الدينونة ثم العذاب الأبدي (رؤيا ٢٠: ١٠-١٣). ومن ثم إن كان الفريقان الأخيران يخشيان القيامة الثانية، فإن الفريق الأول يرحب بالقيامة الأولى كل الترحيب، (ثانياً) إنه على أساس احتمال المسيح لدينونة الخطية عوضاً عنا (إشعيا ٥٣: ٨، رومية ٨: ٣)، فإن من يؤمن به إيماناً حقيقياً لا يدان، أما من لا يؤمن به بهذا الإيمان فقد دين (يوحنا ٣: ١٨، ٥: ٢٤، رومية ٨: ١). ومن ثم إن كانت الدينونة تدفع البشر في العهد الجديد للتوبة، إلاّ أن محبة الله التي تجلت في كفارة المسيح تجعلهم يقبلون على هذه التوبة بكل رضى. لأنهم يقبلون إلى الله ليس خوفاً من دينونته، بل حباً في ذاته، الأمر الذي يهيئهم للتمتع

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

به والتوافق معه في صفاته الأدبية السامية، "لأن من خاف، لم يتكمل في المحبة" (١يوحنا ٤: ١٧و ١٨) .

٤- "وهذا سنفعله إن أذن الله": إن ما كان الرسول يريد أن يفعله (أو بالحري أن يفعله العبرانيون، الذين كان يضع نفسه جنباً إلى جنب معهم، لكي يسمو بمداركهم إلى الحق المسيحي الكامل)، ليس طبعاً الأعمال الميتة أو... أو... أو قيامة الأموات وما يتبعها من دينونة أبدية، بل هو التقدم إلى الكمال الذي ذكره في أول الأمر ــ فالرسول كانت له ثقة في الله أنهم سيقتلعون من نفوسهم المبادئ اليهودية التي توارثوها عن أجدادهم، وأن يكتفوا بالمسيح رباً ومخلصاً لهم، حتى يتمتّعوا بالكمال أمام الله في شخصه المبارك.

وإذا كان الأمر كذلك، فلا مجال للقول بوجوب وجود خلافة رسولية حتى يمكن الاستمرار في ممارسة "وضع الأيدي".

٢

الحجج الخاصة بوجوب وضع الأيدي لتعيين رجال الدين، والرد عليها

١- [جاء في (أعمال ١٣: ٢ و٣) أنه بينما كان الأنبياء والمعلمون في أنطاكية يخدمون الربّ ويصومون، قال الروح القدس: أفرزوا لي برنابا وشاول (الذي هو بولس) للعمل الذي دعوتهما إليه ؛ فصاموا حينئذٍ ووضعوا عليهما الأيادي، ثم

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أطلقوهما – وهذا دليل على عدم جواز قيام أحد بخدمة الله إلاّ بعد وضع الأيدي عليه من أشخاص لهم سلطة رسولية].

الرد: (أ) فضلاً عن أن الروح القدس نفسه هو الذي كان قد دعا برنابا وشاول للخدمة (كما يتضح من الآية الواردة في الحجة)، ودعوة الروح القدس لا تحتاج إلى تأييد أو اعتماد من البشر مهما كان مقامهم ؛ وفضلاً عن أن برنابا وشاول كانا يخدمان الرب قبل هذه الدعوة ببضع سنوات، وانضم بواسطة خدمتيهما كثيرون إلى المسيح (أعمال ٩ و ١١ و ١٣)، الأمر الذي لا يدع مجالاً بعد لموافقة أي إنسان على خدمتيهما، فإن الذين وضعوا الأيدي عليهما لم يكونوا رسلاً حتى كان يجوز القول أنه كانت لهم سلطة رسولية، بل كانوا أقل من برنابا وشاول في المركز والمواهب، ومن ثم لا يمكن أن يقال إنهم كانوا الواسطة في تعيين برنابا وشاول للقيام بالخدمة.

(ب) وإذا كان الأمر كذلك، يكون الغرض من وضع الأنبياء والمعلمين أيديهم على برنابا وشاول (كما يتضح من الكتاب المقدس) علامة على تسليمهما إلى نعمة الله الكفيلة بمرافقتهما في القيام بالخدمة التي دعاهما الروح القدس إليها. لأنه مكتوب "ومن هناك (أي من اتاليا) سافرا في البحر إلى أنطاكية (البلد الذي ذكر الوحي أنه وضعت عليهما فيه الأيدي)، حيث كانا قد أسلما إلى نعمة الله، للعمل الذي أكملاه "ــ فالأنبياء والمعلمون المذكورون تحت تأثير المحبة الشديدة التي كانت تربطهم ببرنابا وشاول، وإدراكهم للصعوبات التي كانت عتيدة أن تعترض قيامتهما بالخدمة التي أسندها الروح القدس إليها، تحركت أحشاؤهم بالشفقة عليهما، فصاموا وصلوا

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ووضعوا أيديهم عليهما للدلالة على تسليمهما إلى نعمة الله، لكي تؤازرهما في خدمته، ومن ثم ليس في تصرفهم هذا، أي مظهر من مظاهر السلطة الرسولية أو غيرها من السلطات.

٢- [إن الرسول بولس عيّن تيموثاوس وتيطس خليفتين بواسطة وضع يديه عليهما ؛ الأول في أفسس، والثاني في كريت، وهذا دليل على ضرورة إقامة خلفاء للرسل بواسطة وضع الأيدي عليهم].

الرد: فضلاً عن أن الوحي الإلهي، وإن كان قد سجل أن بولس وضع يديه على تيموثاوس، لكنه لم يسجل أنه وضعهما على تيطس، الأمر الذي يدل على عدم حتمية وضع الأيدي لإقامة رجال الدين بأعمالهم، نقول: إن بولس لم يسلم تيموثاوس وتيطس المواهب التي أعطاها الله له، أو جعلهما واسطتين لتلقي الوحي الإلهي مثلما كان يتلقاه هو. كما أنه لم يطلب منهما أن يعينا شخصين يخلفانهما في تعيين القسوس، وأن يوصيا هذين بتعيين غيرهما للقيام بهذه المهمة، وهكذا دواليك. لذلك لا يكون قد عينهما خليفتين له، بل مجرد نائبين عنه لكي يقوما عوضاً عنه بإقامة قسوس في مكانين وزمانين محدودين، حتى يتفرّغ هو لنشر الإنجيل. وقد كلفهما بتعيين القسوس، لأن تعيينهم بواسطة الرسول أو بواسطة نائبين معتمدين منه، كان أمراً ضرورياً في ذلك الوقت في بعض البلاد، كما يتضح فيما يلي من هذا الباب.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٣- [إن هذا الرسول عيّن تيموثاوس وتيطس أسقفين بالمعنى المعروف في الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية، لأنه خولهما حق إقامة القسوس ؛ كما أنه بتخويلهما إقامة هؤلاء، يكون قد نقل إليهما شيئاً من سلطانه الرسولي].

الرد: (١) لو فرضنا أن بولس عين تيموثاوس وتيطس أسقفين بالمعنى المعروف في هاتين الكنيستين، لكان قد أمر كلاً منهما بعدم مغادرة البلد الذي أقامه فيه، وذلك لكي يتسنى له رعاية المؤمنين الموجودين هناك، حتى نهاية حياته على الأرض. لكن ما حدث من جهة تيموثاوس، أن بولس الرسول بعدما نادى بالإنجيل في مدينة أفسس، وقبله بعض الناس فيها، أراد أن يغادرها لكي ينادي بالإنجيل في بلاد غيرها. ولذلك طلب من تيموثاوس أن يمكث في أفسس (وكلمة "يمكث "، تختلف كل الاختلاف عن كلمتي يعين ويقيم) لكي يحذر المؤمنين من التعاليم الناموسية التي كان يذيعها بينهم المتهودون من المسيحيين، ولكي يقيم لهم أيضاً قسوساً يتولون القيام بهذه المهمة (١تيموثاوس ١: ٣ - ١٠). وبعد ذلك طلب الرسول منه أن يغادر هذه البلدة لكي يرافقه في خدمة الإنجيل، كما كان يفعل من قبل (٢كورنثوس ٤: ٩)، ومن ثم لا يكون قد عينه أسقفاً بالمعنى الذي يقال عنه في الكنيستين المذكورتين.

وهكذا الحال من جهة تيطس، فإن بولس الرسول لم يعينه في جزيرة كريت لكي يكون أسقفاً بهذا المعنى، بل ما حدث هو أنه بعدما نادى هذا الرسول بالإنجيل في كريت وعزم على مغادرتها للمناداة به في جهات أخرى، ترك تيطس في هذه الجزيرة (وكلمة "ترك "تختلف كذلك كل الاختلاف عن كلمتي أقام وعين) لكي يقيم في كل

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

مدينة فيها قسوساً، لصيانة المؤمنين من التعاليم الناموسية أيضاً (تيطس ١: ٥-١٥). وبعد ذلك طلب منه أن يذهب إلى نيكوبوليس لكي يرافقه في خدمة الإنجيل، كما كان يفعل من قبل، ومن ثم لا يكون قد عينه أسقفاً بالمعنى المصطلح عليه في الكنيستين السابق ذكرهما.

(ب) والسبب في عدم قيام بولس بإقامة القسوس بنفسه، يرجع إلى أن هؤلاء لم يكن من الجائز أن يقاموا في مراكزهم إلاّ بعد قضاء مدة طويلة في حياة الإيمان، حتى تتجلى أخلاقهم وتصرفاتهم (١تيموثاوس ٣: ٦)، ولذلك كان من البديهي أن يسند الرسول أمر إقامتهم إلى غيره، لأنه لم يكن يستقر في بلد ما مدة طويلة حتى يتضح له من هم أهلاً للقسوسية، بل كان بمجرد انتهائه من الكرازة بالإنجيل في بلد ما، ينتقل إلى غيره للقيام بهذه المهمة، ومن ثم فمثل الرسول (إن جاز التشبيه) مثل مدير هيئة عين وكيلين له، وحدد لهما العمل الذي رأى إسناده إليهما، وذلك في مكانين وزمانين معلومين. ومن ثم من الواجب عليهما أن لا يتعديا الاختصاصات التي أسندها المدير إليهما. وتطبيقاً على هذا المثال، لم يكن لتيموثاوس أو تيطس أن يدعي لنفسه أنه خليفة للرسول في مركزه أمام الله أو الناس، أو أنه يشترك معه في المميزات الخاصة به، أو أن له سلطة تعيين شخص يكون خليفة له أو للرسول بولس، أو إقامة قسوس في غير المكان والزمان المحددين له أيضاً.

(ج) أخيراً نقول: حقاً إن بولس الرسول أسند إلى تيموثاوس وتيطس شيئاً من سلطانه الرسولي، وهو الخاص بإقامة القسوس. لكن ليس معنى هذا أنه يحق لشخص ما

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أن يسند إلى نفسه ملكية التفويض الذي أعطاه هذا الرسول لهما، لأن هذا التفـــويض كان شخصياً، كما كان لفترة معينة وفي بلاد معينة أيضاً، ومن ثم فإن دعـــوى بعـــض الأفراد في الوقت الحاضر [بأنهم خلفاء للرسل وأنهم يقيمون قسوساً بسلطان رسولي] بعيدة عن روح الكتاب المقدس كل البعد.

٤- [قال الوحي عن بولس وبرنابا أنهما انتخبا للمؤمنين قـــسوساً في كـــل كنيسة وصليا بأصوام واستودعاهم للرب الذي كانوا قد آمنوا بـــه" (أعمـــال ١٤: ٢٣)، ومن ثم يجب أن يكون هناك خلفاء للرسل لإقامة القسوس في كل عـــصر مـــن العصور].

الرد: فضلاً عن أنه ليس هناك مجال للخلافة الرسولية كما ذكرنا، الأمر الذي لا يدع مجالاً لهذه الحجة نقول: يتضح من الآية الواردة بها (أولاً) أن المؤمنين ليسوا هم الذين اختاروا القسوس[١٦] وقدموهم إلى بولس وبرنابا لكي يوافقا على إقامتهم، كما يختار الناس أشخاصاً في الوقت الحاضر ويقدمونهم إلى بعض رجال الدين لديهم لكـــي يقيموهم قسوساً، بل أن بولس وبرنابا هما اللذان انتخبا القسوس المذكورين[١٧]. (ثانياً)

---

[١٦] – لأنهم لو فعلوا ذلك لكان القسوس موظفين لديهم، وهذا ما لا يتلاءم مع خدمة القسوسية إذ أن هذه كانت تتضمن توبيخ المقاومين، مهما كانت مراكزهم.

[١٧] – أما الشمامسة، فلأنهم كانوا يتسلمون أموال المؤمنين ليوزعوها على الفقراء، كان مـــن حـــق المؤمنين أن يختاروهم، لكي يكونوا مطمئنين من جهة الطريقة التي توزّع بها هذه الأموال (أعمـــال٦: ٣).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أن بولس وبرنابا أقاما القسوس بالصلاة والصوم دون أن يضعا الأيدي عليهم، لأن القول "واستودعاهم للرب "لا يدل حتماً على وضع الأيدي عليهم، إذ أن المراد به هو الصلاة لأجلهم لكي يتسلم الرب حياة كل منهم ويقودها في طريقه. وهذا دليل على أن وضع الأيدي ليست له أهمية خاصة في إقامة القسوس.

فإذا أضفنا إلى ما تقدم أن الرسل لم يقيموا قسوساً في كل مدينة بعد الكرازة فيها بالإنجيل مباشرةً، بل بعد فترة من الزمن كما حدث في لسترة وأيقونية (أعمال ١٤: ١-٢٣)، أدركنا أن إقامة القسوس في بلد ما، لم يكن حتى العصر الرسولي، أمراً حتمياً لوجود المؤمنين فيها، بل كانوا يقامون فقط عندما كانت تدعو حاجة هؤلاء المؤمنين إليهم. وذلك لمحاربة بدع الناموسيين وغيرها كما ذكرنا فيما سلف.

٥- [وإن كان الناس هم الذين يختارون القسوس في الوقت الحاضر، لكن الله هو الذي يصادق على اختيارهم، وذلك بوضع أيدي رجال الدين عليهم، لأنه لا يمكن أن يحدث شيء في العالم إلاّ بإرادته].

الرد: إن الله لا يصادق على عمل، إلاّ إذا كان يتفق مع كلمته. وبما أنه لم يأمرنا أن نقيم لأنفسنا قسوساً، إذن لا يمكن أن يصادق على إقامتنا لهم بأية طريقة من الطرق. ومما يثبت ذلك أن بعض القسوس المختارين من الناس، والموضوعة عليهم الأيدي بواسطة كبار رجال الدين بينهم، هم أشخاص أشرار عصاة، أو على أحسن تقدير هم مؤمنون بالاسم فحسب. وإذا كان الأمر كذلك، اتضح لنا أن وضع الأيدي

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الذي يمارس الآن هو مجرد تقليد، أو بالحري مظهر دون جوهر ــ هذا مع العلم بأنه ليس كل ما يحدث في العالم، يريده الله. فهو مثلاً لا يريد الحرب أو الشر، ولكن ما أكثر وجودهما بيننا. ويرجع السبب في ذلك إلى أنه تعالى أعطانا إرادةً حرة يمكننا بها أن نفعل ما نريد، حتى نكون مسؤولين أمامه عن كل عمل نقوم به سواء أكان صواباً أم خطأً.

٦- [إن موسى النبي وضع يديه على يشوع عندما أقامه خليفةً له (العدد ٢٧: ١٨). وتطبيقاً على ذلك، يجب أن يكون تعيين القسوس بواسطة وضع الأيدي، ووضع الأيدي لا ينتقل إلاّ بالخلافة الرسولية].

الرد: (أ) فضلاً عن أنه هناك مجال للخلافة الرسولية كما اتضح لنا مما سلف، وفضلاً عن أن الله نفسه هو الذي أمر موسى بإقامة يشوع خليفةً له، الأمر الذي لا يحدث مثله في الوقت الحاضر نقول:

إننا لا ننكر أن التعيين في مركز قيادي في العهد القديم كان مقروناً في بعض الحالات بوضع الأيدي. ولكن وضعها لم يكن إلاّ علامةً خارجية ليست لها في ذاتها قوة منح البركة، أو التأهيل الروحي للقيام بالخدمات الخاصة بهذا المركز. الدليل على ذلك أن كثيرين تقلّدوا مراكز دينية وتدبيرية وقضائية في العهد المذكور بمقتضى المواهب التي منحها الله لهم، دون أن يضع أحد الأيدي عليهم، كما كانت الحال مع القضاة، بما فيهم صموئيل النبي نفسه، وهكذا الحال من جهة رسل المسيح، فقد تولوا مراكزهم

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

دون أن يضع له المجد يديه على واحد منهم (متى ١٠: ١-١٠) وإذا كان الأمر كذلك، فإن التعيين للخدمات الدينية في الوقت، الذي لا يوجد فيه رسل أو نواب رسميون لهم، يجب أن يكون متوقفاً أولاً وأخيراً على قصد الله نفسه، والحالة الروحية لمن يتطلعون إلى هذه الخدمات. لأنه فضلاً عن عدم وجود خلفاء للرسل كما ذكرنا. فإن وضع الأيدي لإقامة قسوس ليس سلعةً يمكن تداولها من شخص إلى آخر بواسطة ما، بل إنه عمل مرتبط بالرسل ومن لديهم تفويض شخصي منهم، للقيام بهذه المهمة. ومن ثم فالقول بأن وضع الأيدي الذي يمارس الآن في بعض الكنائس متسلسل من الرسل أنفسهم، لا يتفق مع الوحي أو العقل، بل إنه مجرد تقليد.

(ب) ولإيضاح هذه الحقيقة إلى حدّ ما نقول: إن موسى كانت له عصا يستخدمها في عمل المعجزات. لكن القوة المعجزية لم تكن في العصا نفسها، بل في روح الله العامل في موسى. ولذلك لو أن إنساناً ما استلم عصا موسى، لما استطاع أن يعمل بها معجزةً واحدة، بينما أي عصا كان يضعها موسى في يده، كان يمكن أن تتم بها المعجزات التي يريدها الله. وهكذا الحال من جهة وضع الأيدي، فإن بولس عندما كان يضع يديه على إنسان ما، كانت تتحقق مشيئة الله من جهة إقامته قسيساً (أو شفائه من مرض ألم به أو ... أو ...). لكن الذين يسندون إلى السلطان الرسولي وحق وضع الأيدي في الوقت الحاضر، لا يستطيعون أن يثبتوا عملياً أن لهم مميزات الرسل ومواهبهم في شفاء مريض (مثلاً) بمجرد وضع أيديهم عليه كما كان يفعل الرسل. لذلك تكون دعواهم لا نصيب لها من الصواب، ويكون القسوس الذين يقيمونهم ليسوا مختارين من الله، بل مختارين من الناس فحسب.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الاعتراضات والردّ عليها

١- [إذا لم يكن الغرض من تعيين القسوس قيادة المؤمنين في الصلاة، فلماذا كانوا يقامون، ويقامون بواسطة الرسل أو نوابهم الرسميين فقط].

الرد: (أ) السبب في إقامة القسوس يرجع فقط إلى أن بعض المسيحيين كانوا وقتئذٍ خارجين من اليهودية، والبعض الآخر من الوثنية، وكان الفريق الأول معرضاً للانحراف عن الحق المسيحي الذي آمن به حديثاً والرجوع إلى التقاليد اليهودية التي اعتاد عليها. وكان الفريق الثاني معرّضاً للانحراف عن آداب السلوك المسيحي بسبب ما ألفه قديماً من نجاسة الوثنية (١كورنثوس ٥: ١). كما كان يحدث بين الفريقين نزاع من وقت إلى آخر بسبب الاختلاف في الجنسية، وما يتبع ذلك من الاختلاف في التفكير والتدبير ؛ ولذلك كان من أبرز أعمال القسوس إسكات القائلين بضرورة الختان وحفظ الناموس، وتوبيخ المناقضين الذين يتكلمون بالباطل جرياً وراء الربح المادي (أعمال ١٥: ٢٤ تيطس ١: ٩-١١)[١٨].

---

[١٨] – وإذا كان الأمر كذلك، أدركنا أن مجال القيام بالخدمة التي أقيم القسوس لتأديتها، خارج الاجتماعات الدينية كان أوسع من القيام بها داخل هذه الاجتماعات. لأن اجتماعات العبادة يجب أن تكون مقصورة على التأمل في نعمة الله، حتى يمكن تقديم الحمد والشكر له. واجتماعات التعليم والوعظ والتبشير يجب أن تكون مقصورة على تفصيل كلمة الحق بالاستقامة، أو الحثّ على التقوى والقداسة، أو الشهادة عن محبة الله وفدائه، حتى ينمو المؤمنون في النعمة، ويخلص الخطاة من الخطية ونتائجها الوخيمة.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(ب) ومن ثم كان من الضروري إقامة قسوس، أو شيوخ في السن والإيمان أيضاً هناك، بواسطة وضع أيدي الرسل أو نوابهم الرسميين عليهم لغرضين (الأول) لكي ينفّذ المتنصرون جميعاً (سواء أكانوا قبلاً يهوداً أم وثنيين) وصايا القسوس الخاصة بالحقائق المسيحية من جهة التعليم، والسلوك بالقداسة. لأن هؤلاء القسوس كانوا قد عرفوا هذه الحقائق وتشبّعوا بها أكثر من غيرهم. (الثاني) لكي يكون للقسوس سلطة تأديب أو توبيخ المناقضين، لأنهم (أي القسوس) لم يكن يشترط في إقامتهم أن يكونوا من أصحاب الجاه والمراكز العليا، الذين يخشاهم الناس، أو من أصحاب المواهب المعجزية، الذين لديهم البرهان العملي على أن لهم مثل هذه السلطة، بل كانوا يختارون من بين المؤمنين العاديين الذين تتوافر فيهم بعض الصفات الروحية والاجتماعية المناسبة للخدمة الرعوية، مثل الإلمام بكلمة الله والقدرة على الوعظ، والتصرّف باستقامة في حياتهم العملية، وتدبير بيوتهم وتربية أولادهم في خوف الله.

(ج) وبما أن الظروف التي كانت تقتضي إقامة شيوخ أو قسوس بسلطة رسولية قد انتهت، لأن كلمة الله قد وضعت حداً فاصلاً بين حق المسيحية وظلال اليهودية، وأقامت حاجزاً منيعاً بين قداسة المسيحية ونجاسة الوثنية. كما أصبح المؤمنون من اليهود والوثنيين جماعة واحدة لا مجال للاختلاف بين أفرادها من جهة الأمور التي كان يقع بينهم الاختلاف بسببها، لذلك لم تعد بعد حاجة إلى إقامة القسوس أو الشيوخ بسلطة رسولية في بلد ما.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٢- [إن الجماعات التي ليس بها قسوس مقامون بوضع الأيدي، ليس فيها مجال للرعاية الروحية].

الرد: (أ) إن هذه الجماعات ليست خاليةً من خدمة الرعاية الروحية، بل فيها من يقومون بالخدمة المذكورة، كما كانت الحال في العصر الرسولي نفسه. فقد كان هناك أشخاص وضع الله في قلوبهم القيام بما كان يقوم به القسوس من رعاية وتدبير، دون أن يعينهم أحد أو يضع عليهم الأيدي. وكان الرسول يحرّض المؤمنين على إكرامهم والعمل بإرشادهم. فقد قال لهم: "أطلب إليكم أيها الأخوة، أنتم تعرفون بيت استافاناس أنهم باكورة أخائية، وقد رتبوا أنفسهم لخدمة القديسين، لكي تخضعوا أنتم أيضاً لمثل هؤلاء، وكل من يعمل معهم ويتعب" (١كورنثوس ١٦: ١٥).

(ب) أما السبب في عدم وضع الأيدي لدى الجماعات (الوارد ذكرها في الاعتراض) على الأشخاص الذين يتفرّغون للرعاية الروحية فيها، فيرجع إلى أن وضع الأيدي بسلطان رسولي كان مقصوراً على الرسل وعلى الأشخاص الذين لديهم تفويض شخصي منهم. ومن ثم يكون وضع الأيدي بواسطة أشخاص غير أولئك وهؤلاء، هو مجرد تقليد ليس له مثل هذا السلطان، لذلك تكتفي هذه الجماعات بالصلاة لأجل الأشخاص المذكورين عند الموافقة على إقامتهم لخدمة الله، لكي يؤيدهم تعالى في أدائها ــ ومع كل فإنها إذا وضعت الأيدي عليهم لمجرّد الاعتراف بخدمتهم، أو المشاركة القلبية لهم فيها، أو استيداعهم لنعمة الله لكي تؤازرهم، دون أن يكون في ذلك أي معنى من معاني الادّعاء بسلطة عليا، لا يكون تصرفها هذا مخالفاً لكلمة الله،

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

لأن الأمر فيه يكون راجعاً أولاً وأخيراً إلى العادات المتبعة، وطريقة التعبير عن التعاون والمحبة.

(ج) أخيراً نقول وإن لم يكن هناك مجال لقسوس مقامين بسلطان رسولي في الوقت الحاضر، لكن هناك رعاة موهوبين كما وإن كان عمل القسيس يشبه عمل الراعي الموهوب، لكن هناك فرقاً كبيراً بين الاثنين. فالأول كان يشترط فيه أن يكون شيخاً متزوّجاً له أولاد، وعن طريق الاجتهاد الشخصي أصبح ملماً بكلمة الله. كما كان يقام لتأدية خدمته بواسطة وضع يدي الرسول أو أحد مفوّضيه. أما الراعي فهو الشخص الذي نال موهبة الرعاية من الربّ مباشرةً (أفسس ٤: ١١)، دون أن يتوافر فيه شرط الزواج أو الأولاد أو السن، لأن الربّ لا يتقيد في إعطاء المواهب بقيود ما.

من هذا يتّضح لنا أنه وإن كان عصر إقامة الشيوخ أو القسوس بسلطة رسولية قد انتهى [لانتهاء الأسباب الحتمية التي كانت تتطلّب إقامتهم بهذه السلطة، وأيضاً لعدم وجود الأشخاص الذين لهم حقّ إقامتهم بها]، لكن الرعاة الموهوبين موجودون في الكنيسة إلى انقضاء الدهر. لأنهم من عطايا الله لها، مثل المعلمين والمبشّرين (أفسس ٤: ١١).

الباب الثالث
الحجج الخاصة بالقيام بالمعمودية

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يعتقد القائلون بالرئاسة الدينية [أن المسيح سلّم القيام بالمعمودية للرسل دون غيرهم، لأنها (كما يقولون) هي الولادة من الله، والسبيل إلى دخول ملكوته. فقد قال المسيح لنيقوديموس "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح، لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يوحنا ٣: ٥). ومن ثم يجب أن يكون للرسل خلفاء يقومون بالمعمودية إلى نهاية الدهر، لئلا يحرم أحد من هذا الملكوت]، ورداً على هذا الاعتقاد نقول:

١

ماهية المعمودية[١٩] والولادة من الله

بالرجوع إلى الكتاب المقدس يتّضح لنا أن العماد باسم المسيح هو إشهار الإيمان به، أو بالحري الاعتراف الرسمي بالموت معه والقيام معه، وذلك بواسطة

---

[١٩] – كلمة "معمودية "معربة من الكلمة السريانية "معموديتو"، ومعناها "الغسل لأجل التطهير الطقسي". وهي نفس الكلمة المترجمة "غسل "في(مرقس ٧: ١–٥). و(لوقا ١١: ٣٧–٣٩) و(عبرانيين ٩: ١٠). ومن كلمة المعمودية، اشتقت كلمتا "اعتمد "و "عماد "وغيرهما. ومما تجدر الإشارة إليه أن العماد كان معروفاً قبل ظهور المسيح. فجماعة السبتيين من اليهود كانوا يعمدون بالماء كل وثني يتهود للدلالة على تخلصه من وزر الوثنية. ويوحنا المعمدان كان يعمّد التائبين من اليهود لكي يتهيؤوا لملكوت السموات على الأرض، أو بالحري لقبول المسيح ملكاً عليهم فيها (متى ٣: ٢ ، ٤: ١٧ ومرقس ١: ١٤ و١٥)، لأن المسيح كان قد أتى في أول الأمر بهذا الوصف إتماماً لوعوده السابقة لآبائهم ولكن لما رفضوا ملكه عليهم (لوقا ١٩: ١٤)، رفضهم وفتح بالفداء باب الحياة الأبدية لكل من يؤمن إيماناً حقيقياً من جميع الأمم بدون استثناء، كما أعلنت التوراة أيضاً في بعض آياتها ــ وطبعاً كان المسيح يعرف منذ الأزل كل ما حدث في أيامه على الأرض.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

النـــزول في المعمودية والصعود منها. فقد قال الرسول "مدفونين معه في المعمودية التي فيها أقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات" (كولوسي ٢: ١٢).

أما الولادة من الله فهي الحصول منه على طبيعة روحية نستطيع بها التوافـــق معه في صفاته الأدبية السامية إلى الأبد، وذلك بواسطة الإيمان بالمسيح إيماناً حقيقياً[٢٠]. فقد قال الوحي إن كل من يؤمن بالمسيح (إيماناً حقيقياً) فقد ولد مـــن الله (١يوحنـــا ٥:١). ومن ثم فالولادة من الله تختلف عن المعمودية وللإيضاح نتحدث عن النقـــاط التالية:

أولاً ـ أدلة على أن حديث المسيح من نيقوديموس خاص بالولادة مـــن الله، وليس بالمعمودية.

١– إن المسيح لم يقل لنيقوديموس إن كان أحد لا يعمّد، بل قال له: إن كان أحد لا يولد. والولادة (أو بالحري الولادة الروحية من الله) تختلف كل الاختلاف عن العماد، وليس من جهة اللفظ فقط، بل ومن جهة المعنى أيضاً كما ذكرنا.

٢– إن المسيح لم يقل لنيقوديموس إن كان أحد لا يولـــد بالمـــاء والـــروح (باستعمال حرف الجر "ب")، على نسق قول يوحنا لتلاميذه "أن أعمدكم بماء" (مـــتى ٣: ١١)، بل قال له "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح". وهناك فرق كبير بـــين حرفي الجر"ب" و "من". فالأول يدلّ على العمل بواسطة خارجية، أما الثاني فيدل على

[٢٠] – تحدثنا عن هذه الولادة بالتفصيل في كتاب فلسفة الغفران في المسيحية.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

التكوّن من شيء ما[٢١]. ومن ثم فالأول يتناسب مع العماد، لأن ماء المعمودية يستعمل كواسطة خارجية، أما الثاني فيتناسب مع ولادة النفس بواسطة كلمة الله (المعبر عنها هنا بالماء[٢٢] والروح القدس معاً، إذ بهذه الولادة تتكون للنفس طبيعة روحية جديدة كما ذكرنا.

٣- إن المسيح قال لنيقوديموس عن الطريقة التي تتم بها هذه الولادة: " الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها. لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب، هكذا كل من ولد من الروح "ـ وهذه الطريقة لا تنطبق على المعمودية، لأن المرء يمكن أن يعرف كل الترتيبات التي عملت أو تعمل أو ستعمل لعماده أما الولادة من الله فتحدث دون أي ترتيب أو انتظار من أحد، لأنها من أولها إلى آخرها من عمل الله ـ فقد يواظب إنسان على سماع كلمة الخلاص سنوات كثيرة، بل وقد يعظ بها الآخرين مرات متعددة، ومع ذلك لا تتأثّر نفسه بها. بينما قد يسمع غيره هذه الكلمة مصادفةً مرة واحدة، فتنفذ إلى أعماق قلبه بقوة الروح القدس، فيتوب ويتهيأ للتوافق مع الله في صفاته الأدبية السامية في العالم الحاضر والآتي معاً.

٤- إن المسيح وبّخ نيقوديموس لعدم معرفته بمعنى الولادة من الله (يوحنا ٣: ٩-١٢). وبما أن المسيح لا يُوبّخ إنساناً إلاّ إذا كان لا يعرف أمراً سبق الله وأعلنه له، لذلك لا يمكن أن يكون حديث المسيح مع نيقوديموس عن الولادة من الله، خاصاً بالمعمودية المسيحية التي نمارسها الآن، لأن هذه المعمودية لم تؤسس إلاّ بعد موت المسيح

---

[٢١] - ولذلك نرى في الترجمة الإنجليزية (مثلاً) أن الحرف الأول هو: **With** بينما الثاني هو **Of**.

[٢٢] - سنتحدث عن هذه الحقيقة فيما يلي بالتفصيل.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وقيامته (متى ٢٨: ١٩)، إذ أن فيها إشارة إلى هاتين الحقيقتين (كولوسي ٢: ١٢). أما الولادة من الله فكان تعالى قد أعلنها في العهد القديم من قبل . فقد قال "وأرشّ عليكم ماء طاهراً[٢٣]، فتطهرون من كل نجاساتكم، ومن كل أصنامكم أطهركم وأعطيكم قلباً جديداً وأجعل روحاً جديداً في داخلكم. وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم[٢٤]، وأجعل روحي في داخلكم وأجعلكم تسلكون في فرائضي وتحفظون أحكامي وتعملون بها" (حزقيال ٣٦: ٢٤-٢٧)، ولذلك كان قديسو العهد القديم يعرفون هذه الولادة ويتوقون إليها بكل قلوبهم، فقط قال داود النبي (مثلاً) لله "قلباً نقياً أخلق فيَّ يا الله، وروحاً مستقيماً جدد في داخلي" (مزمور ٥١: ١٠)، ومن ثم كان من المناسب أن يوبّخ المسيح نيقوديموس لجهله إياها.

٥- فإذا أضفنا إلى ما تقدم أنه لو كان حديث المسيح مع نيقوديموس خاصاً بالمعمودية، لكان نيقوديموس قد طلب من المسيح أن يعمّده، كما طلب الحبشي من فيلبس المبشّر فيما بعد (الأعمال ٥: ٢٦-٣٩)، أو على الأقل لكان قد سأله إن كانت المعمودية التي ذكرها تشبه معمودية يوحنا أو تختلف عنها، اتّضح لنا أن نيقوديموس لا بدّ أدرك أن حديث المسيح خاص بالولادة من الله، وأن هذه الولادة تتم بالإيمان

---

[٢٣] – الماء المادي لا يوصف بأنه طاهر أو نجس لأن الطهارة هي الخلو من الخطية، والنجاسة هي التلوث بها. ونظراً لأن الماء لا يخطئ ولا يبتعد عن الخطية، يكون المراد "بالماء الطاهر "المذكور أعلاه إشارة إلى شيء يطهر، أو بالحري يطهر القلب. وهذا الشيء (كما يتضح فيما يلي) هو كلمة الله، لأنها هي التي تقوم بهذه المهمة".

[٢٤] – عبارة مجازية يراد بها نزع العصيان من النفوس، وغرس روح الطاعة فيها.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الحقيقي بشخصه كما ذكرنا. ومما يثبت هذه الحقيقة أن المسيح ختم حديثه مع نيقوديموس بالقول "لأنه هكذا أحبّ الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا ٣: ١٦-٢١).

ثانياً ـ أدلة على أن الماء الوارد في حديث المسيح مع نيقوديموس يراد به كلمة الله

بالرجوع إلى يعقوب (١: ١٨) و (١بطرس ١: ٢٣) و (١كورنثوس ٤: ١٥)، يتّضح لنا أن الولادة من الله تكون بواسطة تأثير "كلمة الله "في النفس لقيادتها إلى الإيمان الحقيقي. فمكتوب عن الله "شاء فولدنا بكلمة الحق لكي نكون باكورة من خلائقه". ومكتوب عن المؤمنين أنهم "مولودون ثانيةً لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى، بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد". وأن الرسول ولد المؤمنين في كورنثوس بالإنجيل أو بالحري "بكلمة الله".

وبالرجوع إلى (يوحنا ٣: ٦)، يتّضح لنا أن الولادة من الله تكون أيضاً بواسطة "روح الله "، فمكتوب "المولود من الروح، هو روح".

ومن هاتين المجموعتين من الآيات، يتّضح لنا أن الولادة من الله تكون بواسطة كلمة الله وروح الله معاً. أو بالحري بواسطة مرافقة الروح القدس لكلمة الله في التأثير على نفوس الذين يقبلونها، تأثيراً يخلقها خلقاً جديداً. وبما أن حديث المسيح مع نيقوديموس ينصّ على أن الولادة من الله، تكون من "الماء والروح "إذن يكون المراد بالماء هنا، هو كلمة الله. لأنه هو المقابل للفظ "كلمة "، في الآيات الواردة في (يعقوب ١: ١٨) و (١بطرس ١: ٢٣) و (١كورنثوس ٤: ١٥) التي أشرنا إليها فيما سلف.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ومما يثبت أيضاً أن المراد بالماء هنا، هو كلمة الله الأدلة الآتية:

١- لا يمكن أن تكون هناك وسيلتان مختلفتان للولادة من الله، إحداهما من الماء والروح، والأخرى من الكلمة والروح.

٢- هناك شبه كبير بين تأثير كلمة الله وبين تأثير الماء، فكلمة الله تغسل القلوب، والماء يغسل الجسد (يوحنا ١٥: ٣).

٣- إن الماء المادي لا يبعث حياة روحية إلى النفس (أو بالحري لا يجعلها تولد من الله)، لأن الذي يقوم بهذه المهمة هو كلمة الله، وذلك بسبب وجود هذه الحياة فيها، فمكتوب أنها حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح، والمفاصل والمخاخ، ومميزة أفكار القلب ونياته (عبرانيين ٤: ١٢).

٤- إن روح الله لا يمتزج في أي عمل من أعماله مع الماء العادي[٢٥]، لأنه (أي روح الله) ليس مادة حتى يمكن أن يمتزج بالشيء العادي. ولكن نظراً لأن كلمة الله روحية، يمكن أن يمتزج بها روح الله ويعمل معها.

---

[٢٥] – حقاً إن روح الله هو الذي بعث الحياة داخل الماء عند الخلق، فتكونت فيه الكائنات الحية. لكنه لم يمتزج بالماء أو يتحد به. فضلاً عن ذلك هناك فرق بين بعث الروح القدس للحياة أو الحركة في هذه الكائنات، والذي لم يكن يتطلب أكثر من الرفرفة الخارجية (تكوين ١: ٢) وبين بعث الحياة الروحية في النفوس، والذي يتطلب سكنى الروح القدس فيها، حتى يتهيأ للتوافق مع الله في صفاته الأدبية السامية.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

إن الولادة من "الماء والروح "وردت مرادفةً للولادة من "فوق". فقد قال المسيح لنيقوديموس "ينبغي أن تولدوا من فوق" (يوحنا ٣: ٥). وبما أن الماء من حيث هو مادة، لا وجود له في المجال المعبّر عنه بـ "فوق "، أو بالحري حضرة الله نفسها (لأن هذه الحضرة لا أثر للماء المادي فيها، إذ أن كل ما هناك روح في روح)، تكون الولادة من "فوق "أو من "الماء والروح "هي الولادة من كلمة الله وروحه كما ذكرنا، لأنهما هما اللذان يمكن إسنادهما إلى فوق، حيث الله في روحانيته المطلقة.

٦- إن "الولادة من الماء والروح "وردت أيضاً مرادفةً للولادة من الروح وحده (كما يتّضح من يوحنا ٣: ٦)، وبما أنه لو كان المراد بالماء هنا، الماء المادي، لما جاز أن تكون الولادة منه ومن الروح، هي ولادة من الروح وحده، لأنهما يكونان في هذه الحالة شيئين مختلفين لا شيئاً واحداً، إذن المراد بالماء هنا، هو "كلمة الله "، لأنها تقترن مع روح الله كل الاقتران، وعمل أحدهما هو عمل الآخر. فالخلق (مثلاً) يسند إلى كلمة الله، كما يسند إلى روح الله، فقد قال داود النبي "بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه (أي روحه) كل جنودها" (مزمور ٣٣: ٦).

٧- كما أن الكلمة وردت في الكتاب المقدس بكل صراحة بدلاً من "غسل الماء". فقد قال الوحي عن المسيح إنه "يقدّس الكنيسة (أو بالحري المؤمنين الحقيقيين) مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة[٢٦] (أفسس٥: ٦). وهكذا الحال من جهة النقاوة التي

[٢٦] – وإذا الأمر كذلك، أدركنا أن غسل الأرجل الذي قام المسيح به لتلاميذه، هو إشارة إلى غسل القلوب مما يعلق بها من شر، وذلك بوضعها تحت تأثير كلمة الله الفعالة. والدليل على ذلك أن المسيح

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

هي من خصائص الماء، فقد أسندت إلى الكلمة. فقد قال المسيح لتلاميذه "أنتم الآن أنقياء بسبب الكلام الذي كلمتكم به" (يوحنا ١٥: ٣).

٨- فضلاً عن كل ما تقدم، فإن الماء ورد رمزاً إلى كلمة الله في "العهد القديم "الذي كان يحفظه نيقوديموس. فقد قال تعالى فيه "لأنه كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك "بل يرويان الأرض ويجعلانها تلد وتنبت وتعطي زرعاً للزارع وخبزاً للآكل، هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي، لا ترجع فارغةً، بل تعمل ما سررت به وتنجح في كل ما أرسلتها له" (إشعياء ٥٥: ١٠-١١).

وإذا كان الأمر كذلك، تكون الولادة من الماء والروح هي قطعاً الولادة من "كلمة الله وروح الله"، وكان من الواجب على نيقوديموس أن يعرف هذه الحقيقة تماماً. ولكن مما يؤسف له أنه بمعلوماته الناموسية الضخمة، لم تكن له فطنة أكثر من السامرية. فقد ظنت هذه أن الماء الذي وعدها المسيح به، هو الماء العادي (يوحنا٤)، والحال أنه كلمة الحياة التي تعطي من يقبلها حياةً أبدية.

ثالثاً ـ الفرق بين الولادة من الله، وبين المعمودية

مما تقدم يتّضح لنا أن الولادة من الله تختلف عن المعمودية من النواحي الآتية:

قال لبطرس "إن كنت لا أغسلك، فليس لك معي نصيب" (يوحنا ١٣: ٨)، والذي يحرم المؤمن من أن يكون له نصيب مع المسيح، ليس عدم غسل رجليه، بل عدم نقاوة قلبه.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

١- الأولى يقوم بها الله وحده للمؤمنين الحقيقيين، فقد قال بطرس الرسول " مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته ولدنا ثانيةً، لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات" (١ بطرس ١: ٣). أما الثانية فيقوم بها الكارز بالإنجيل للمعترفين بالمسيح، كما سيتّضح من الفصل التالي:

٢- والأولى تتم بواسطة تأثير كلمة الله وروحه في النفس. أما الثانية فتتم بواسطة نزول الإنسان في المعمودية والصعود منها بعد ذلك[٢٧].

٣- والأولى ينال المؤمن بها طبيعة روحية تؤهله للتوافق مع الله في صفاته الأدبية السامية في العالم الحاضر والآتي معاً (١بطرس ١: ٣-٥).

أما الثانية فلا تؤهل من يمارسها إلاّ للانضمام الظاهري إلى الكنيسة المنظورة على الأرض.

٤- إن كل المولودين من الله لهم حياة أبدية ولا يمكن أن يأتوا إلى دينونة. أما الذين اعتمدوا فحسب، دون أن يولدوا من الله، فلا نصيب لهم إلاّ العذاب الأبدي، كما كانت الحال مع سيمون الساحر (أعمال ٨: ٢١-٣٠).

---

[٢٧] - مما تجدر الإشارة إليه في هذه المناسبة أنه جاء في كتاب "الذيذباخي" الذي يرجع تاريخه إلى القرن الثاني (كما يقال): "أن المعمودية تكون في ماء حي (أو بالحري في ماء جار) فإن لم يكن عندك ماء حي، عمّد في ماء آخر. وإن لم تستطع في ماء بارد، ففي ماء دافئ. وإن لم يكن لديك كلاهما، فصبّ بعض الماء على الرأس ثلاثاً، باسم الآب والابن والروح القدس" (تاريخ الآباء في القرون الثلاثة الأولى ص٥١) ــ ولعل هذا هو السبب في أن بعض الطوائف المسيحية تعمّد في الوقت الحاضر بواسطة الرشّ، والحال أن القاعدة الكتابية هي النزول في الماء والصعود منه.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٥- والأولى كانت معروفة عند قديسي العهد القديم، ولذلك كانت لهم علاقة روحية مع الله (تكوين ٥: ٢٤، ١٥: ٦ وأيوب ١: ٨ ومزمور ٧٢: ١٣). أما الثانية فلم يعرفها إلاّ مؤمنو العهد الجديد، لأنها مرتبطة بموت المسيح وقيامته (متى ٢٨: ١٩)، (كولوسي ٢: ١٢ و ١٣).

هذا وقد عرف المسيحيون منذ القديم أن الولادة من الله ليست هي المعمودية، بل هي التغيير الذي يحدث في النفس بواسطة تأثير كلمة الله وروحه فيها، ولذلك قالوا "إنه بمساعدة الولادة الجديدة، زالت عنا وصمة السنوات القديمة (التي عشناها بعيداً عن الله) وأشرف علينا نور من العلاء، إنه نور صاف جميل اخترق أعماق قلوبنا. وهذه الولادة الجديدة هي التي جعلتنا نشرق بنور المسيح على الآخرين"[٢٨] (تاريخ الآباء في القرون الثلاثة الأولى ص١٧٥). كما قالوا "إن ولادة النفوس ولادةً حقيقيةً من الروح القدس، تقودها إلى ملكوت السموات، وأنه بدون الروح القدس تكون هذه الولادة غير ممكنة". وقالوا "إن ربّنا يسوع المسيح أتى إلى العالم لكي يجدد النفوس التي فسدت بالأهواء والشهوات" (حياة الصلاة الأرثوذكسية ص٢٣٣ و٢٣٩ والخريدة النفيسة ج١ ص١٩٤). كما عرفوا أن ماء المعمودية هو فقط رمز إلى الضمير الصالح، أو بالحري رمز إلى عمل كلمة الله في هذا الضمير، لأنها هي التي تطهّره وتجعله صالحاً (تاريخ كنيسة أنطاكية ج١ ص٤٦٠)، وذلك بناءً على ما جاء في (١بطرس ٢: ١٩).

---

[٢٨] – ظن البعض أن هذه العبارة هي عن المعمودية، ولكنها في الواقع عن الولادة من الله، لأن هذه الولادة هي التي تترتب عليها النتائج المذكورة أعلاه.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وفي العصر الحديث نادى كثير من الأرثوذكس بأن الولادة من الله تختلف عن المعمودية. فمثلاً قال الواعظ الفاضل يسى منصور في (كتاب عصمة الكتاب المقدس ص١٧٨) "إنه عندما يتوب الإنسان ويؤمن بكفارة المسيح، يشعر بسلام تام لتمتعه بغفران خطاياه. وفي هذا الاختبار ينال التجدد (أي الولادة الروحية من الله)، وينفصل عن ماضيه السيء، ويتمتع بحياة جديدة مقدسة، ولا تسود عليه الخطية بعد، بل يكرهها من كل قلبه". كما نادوا بأن "كلمة الله "هي التي تخلق المرء خلقاً جديداً وتلده مرة ثانية. فقد قال الراهب الفاضل متى المسكين ما ملخّصه "كلمة الله هي قوته المرسلة إلى العالم كطاقة روحية خلاقة لتجدد الإنسان. إنها حياة منبعثة من الله تتفاعل مع ذهن الإنسان وروحه وتتّحد بهما، فيصير الإنسان بواسطتهما حياً بالله وفي الله. فالكلمة مصدر الحياة الروحية للإنسان، وواسطة اتحاده السرّي بالله. وهي البذرة التي يولد منها مرة ثانية" (كتاب كلمة الله ص٢١ و ٦٠)[٢٩].

٢
أصحاب الحق في القيام بالمعمودية

أما وقد عرفنا أن المعمودية ليست هي الولادة من الله، بقي علينا أن نعرف من هم أصحاب الحق في القيام بالعماد، ولذلك نقول:

حقاً إن الربّ قال للرسل دون غيرهم: "فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (متى ٢٨: ١٩) ــ ولكن بالرجوع إلى

[٢٩] – لزيادة الإيضاح عن هذا الموضوع إقرأ كتاب "الخلاص بين الوحي الإلهي والمفاهيم البشرية".

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الكتاب المقدس، يتّضح لنا أن الرب لم يقدّم هذه الوصية لهم بصفتهم الشخصية، حتى كان يجوز الظن بوجوب وجود خلفاء لهم يقومون بالعماد، بل قدّمها لهم بصفتهم أوائل المؤمنين الحقيقيين. أو بالحري أوائل الكارزين بإنجيله في العالم، كما يتّضح مما يلي:

١- إن فيلبّس عمّد كثيرين من السامريين، وعمّد أيضاً وزير ملكة الحبشة (أعمال ٨: ١٢-٣٩)، مع أنه لم يكن واحداً من رسل المسيح بل كان فقط كارزاً بالإنجيل (أعمال ٢١: ٨)، وواحداً من الشمامسة السبعة، الذين أقامهم الرسل للعناية بالأرامل (أعمال ٦: ٥).

٢- إن حنانيا لم يكن أيضاً واحداً من رسل المسيح، بل كان واحداً من المؤمنين الحقيقيين أو الأنبياء الذين كانوا بينهم، ومع ذلك عمّد بولسَ الرسولَ نفسه (أعمال ٩: ١٨).

٣- إن بولس الرسول على الرغم من كرازته بالإنجيل في كورنثوس، لم يعمّد فيها إلاّ عدداً قليلاً من المؤمنين. فقد قال "أشكر الله أني لم أعمّد أحداً منكم إلاّ كريسبس وغايس، حتى لا يقول أحد أني عمّدت باسمي. وعمّدت أيضاً بيت اسطفانوس. عدا ذلك لست أعلم هل عمّدت أحداً آخر ؛ لأن المسيح لم يرسلني لأعمّد بل لأبشر" (١كورنثوس ١: ١٤-١٧).

٤- فضلاً عن ذلك فإننا إذا رجعنا إلى التاريخ الكنسي، نرى أن الشمامسة كانوا هم الذين يعمّدون الداخلين إلى المسيحية (الخريدة النفيسة ج١ ص١٤٧-١٥٦، تاريخ آباء الكنيسة في القرون الثلاثة الأولى ص٣٢).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وإذا كان الأمر كذلك، اتّضح لنا أن فكرة وجوب وجود خلفاء للرسل لكي يقوموا بالعماد، لا تستند إلى أساس كتابي أو تاريخي، وذلك لسببين (الأول) إن الربّ لم يعيّن بولس الرسول للعماد، مع أنه أعظم الرسل وأكثرهم جهاداً في نشر الإنجيل. (الثاني) إن الشمامسة والمبشّرين والأنبياء والمؤمنين الحقيقيين العاديين الذين كانوا يكرزون بالإنجيل، كانوا يقومون بالعماد، حتى في أيام الرسل أنفسهم كما ذكرنا.

الباب الرابع
الحجج الخاصة بالقيام بالعشاء الرباني

يعتقد القائلون بالرئاسة الدينية [أن المسيح سلم القيام بالعشاء الرباني للرسل دون غيرهم، لأن التناول من هذا العشاء (كما يقولون) هو السبيل للحصول على الغفران والحياة الأبدية. ومن ثم يجب أن يكون للرسل خلفاء يقومون به، حتى لا يحرم أحد من التمتّع بهذين الامتيازين في أي عصر من العصور]، ونظراً لخطورة هذا الاعتقاد، ندرس فيما يلي الأسس التي قام عليها:

١
الحجج القائلة بتوقف الغفران والحياة الأبدية على التناول من العشاء الرباني، والردّ عليها

١- [عندما أعطى المسيح تلاميذه كأس العشاء الرباني، قال لهم: "اشربوا منها كلّكم، لأن هذا هو دمي للعهد الجديد، الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا". ولذلك فالتناول من العشاء الرباني يغفر الخطايا].

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الردّ: إن مغفرة الخطايا (كما يتّضح من هذه الآية) متعلّقة ليس بالخمر التي كانت في الكأس، بل بدم المسيح الذي كان يجري في جسمه وقتئذٍ، لأنه هو الذي كان عتيداً أن يسفك على الصليب. أما الخمر التي كانت في الكأس، فلم تسفك، بل شربها التلاميذ ونزلت إلى جوفهم. ومغفرة الخطايا تتوقف أولاً وأخيراً، على دم المسيح الذي سفك على الصليب، لأنه هو الذي وفى مطالب عدالة الله من نحونا. وقد أشار الرسل إلى هذه الحقيقة الثمينة، فقالوا عن المسيح إن فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته (أفسس ١: ٧، كولوسي ١: ١٤). وإنه صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا (عبرانيين ١: ٣). وإن دمه يطهّرنا من كل خطية (١يوحنا ١: ٧). وإذا كان الأمر كذلك، أدركنا أن قول المسيح عن الخمر إنها دمه، هو من باب المجاز فحسب.

٢- [إن المسيح قال عن خبز العشاء الرباني إنه جسده الذي "يُعطى لمغفرة الخطايا "، وهكذا الحال من جهة الخمر التي استعملها في هذا العشاء. فقد قال عنها إنها دمه الذي "يُعطى لمغفرة الخطايا". ومن ثم يكون العشاء الرباني ذبيحة كفارية لغفران الخطايا].

الرد: (أ) بمضاهاة هاتين العبارتين على ما جاء في الكتاب المقدس بشأنهما، نرى بهما تحريفاً واضحاً. فقد سجّل لوقا عن المسيح أنه أخذ خبزاً وشكر وكسر وأعطى تلاميذه. ثم قال لهم "هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم، اصنعوا هذا لذكري" (لوقا ٢٢: ١٩). وسجل متى أن "المسيح أخذ الكأس وشكر وأعطاها لهم "، ثم قال: "اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الخطايا" (متى ٢٦: ٢٧). ومعنى هاتين الآيتين ينحصر في أن جسد المسيح الذي بذل على الصليب، وأن دمه الذي سفك عليه، هما اللذان على أساسهما تغفر الخطايا ــ لكن العبارة الواردة في الحجة التي نحن بصددها، مقتبسة من "القداس "؛ وقد أضاف كاتبه كلمة "يعطى "، قبل عبارة "لمغفرة الخطايا "الواردة في حديث المسيح عن الخمر. كما أضاف عبارة "يعطى لمغفرة الخطايا "بأكملها، إلى حديث المسيح عن الخبز، لكي يؤيد الاعتقاد السائد لديه، بأن التناول من العشاء الرباني يغفر الخطايا.

(ب) إن الثمن الوحيد للغفران الذي أعلنه الله لنا، هو كفارة المسيح التي قدمها مرة على الصليب، لأنها التي وفت جميع مطالب العدل الإلهي من جهة خطايانا كما ذكرنا. والسبيل الوحيد للتمتّع بهذا الغفران من جانبنا هو الإيمان الحقيقي ــ وهذا الإيمان يقترن طبعاً بالتوبة الصادقة والمحبة الحقيقية لله كل الاقتران ــ فقد قال جميع الأنبياء عن المسيح "إن كل من يؤمن به، ينال باسمه غفران الخطايا" (أعمال ١٠: ٤٣) كما قال المسيح "حتى ينالوا بالإيمان بي، غفران الخطايا ونصيباً مع المقدسين" (أعمال ٢٦: ٢٨).

أما جعل التناول من العشاء الرباني هو السبيل للحصول على الغفران، ففضلاً عن عدم وجود أساس له في الكتاب المقدس كما ذكرنا، فإنه يحول السبيل إلى الغفران من عمل روحاني في النفس بواسطة التوبة والإيمان الحقيقي، إلى عمل جسماني بواسطة الأكل والشرب الماديين، الأمر الذي يتعارض مع مبادئ المسيحية جميعاً.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(ج) وبالإضافة إلى ما تقدّم نقول: (أولاً) إن المسيح جالس الآن على عرشه في السماء، ومن ثم لا يمكن أن يكون مقدماً الآن ذبيحة لله على الأرض، بواسطة بعض رجال الدين. (ثانياً) إن الكتاب المقدس ينفي وجود أي قربان أو ذبيحة بعد كفارة المسيح التي قدمها مرة على الصليب، وذلك بسبب إيفائها لمطالب عدالة الله إلى الأبد كما ذكرنا. فقد قال: "حيث تكون مغفرة لهذه (الخطايا) لا يكون بعد قربان عن الخطية" (عبرانيين ١٠: ١٨). (ثالثاً) إن الاعتقاد بوجود قربان أو ذبيحة لمغفرة الخطايا بعد كفارة المسيح، يعتبر حطاً من كفاية كفارته على الصليب، مع أنه له المجد لم ينزل عنه إلاّ بعد أن قال "قد أكمل". (رابعاً) إن تناول المؤمن الحقيقي من العشاء الرباني بدون استحقاق (أو بالحري بدون تقدير لما يدل عليه هذا العشاء من معنى) يعرّضه لتأديب الله (١كورنثوس ١١: ٢٦)، وبناءً عليه لا يمكن أن يكون التناول منه واسطة للمغفرة للمؤمن بالاسم، الذي يعيش في الخطية بعيداً عن الله كل البعد.

(د) أخيراً نقول إن الأغراض التي سجلها الكتاب المقدس عن ممارسة العشاء الرباني تنحصر في (أولاً) تذكر موت المسيح (لوقا ٢٢: ٥) حتى نعيش متأثرين بمحبته مكرسين نفوسنا لأجل خدمته. (ثانياً) التخبير بموته (١كورنثوس ١١: ٢٦)، حتى يعرف البشر خلاص المسيح ويفيدوا منه (ثالثاً) انتظار مجيئه من السماء (١كورنثوس ١٥: ١٥، لوقا ٢٢: ١٨)، حتى نحيا باستمرار حياة اليقظة الروحية. (رابعاً) إعلان الشركة الروحية التي أصبحت لنا مع الربّ على أساس موته الكفاري نيابةً عنا (١كورنثوس ١١: ١٩)، حتى نعيش منفصلين عن أهواء العالم وشهواته وملتصقين بشخصه وحده. (خامساً) الاعتراف بوحدة المؤمنين الحقيقيين في كل العالم في شخصه

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

المبارك كأعضاء جسده (١كورنثوس ١٠: ١٧)، الأمر الذي يدعونا إلى أن نحبّ بعضنا بعضاً من قلب طاهر بشدة.

٣- [إن المسيح قال لنا عن العشاء الرباني: "إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليس لكم حياة فيكم. من يأكل جسدي ويشرب دمي، فله حياة أبدية. وأنا أقيمه في اليوم الأخير" (يوحنا ٦: ٥٢-٥٤).

الرد: (أ) إن السبيل إلى الحياة الأبدية الذي لا يقبل تأويلاً ما، والذي يعلنه الوحي في كل سفر من أسفاره بكل وضوح وجلاء، هو نفس السبيل إلى الغفران الذي ذكرناه فيما سلف. وهذا السبيل هو الإيمان الحقيقي بالمسيح ؛ فقد قال له المجد: "هكذا أحبّ الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا ٣: ١٦). كما قال "من يؤمن بالابن تكون له الحياة الأبدية، ويقيمه الابن في اليوم الأخير" (يوحنا ٦: ٤). وبما أنه لا يمكن أن يكون هناك سبيلان مختلفان للحصول على الحياة الأبدية الواحدة. أحدهما بواسطة الإيمان الحقيقي بالمسيح، والثاني بواسطة الأكل والشرب من دمه الوارد في الحجة التي نحن بصددها، لا يراد به المعنى الحرفي بل المعنى الروحي. والمعنى الروحي له هو الإيمان الحقيقي بالمسيح أو بالحري قبوله في النفس (ليس رباً فقط بل وأيضاً فادياً بذل دمه الكريم كفارةً عن خطايانا)، وذلك مثل قبول الطعام في الجوف للإبقاء على حياة الجسد.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

والاختبار العملي، إلى جانب الآيتين اللتين ذكرناهما (يوحنا ٣: ١٦– ٦: ٤) يدل على أن الحياة الأبدية هي فقط بواسطة الإيمان الحقيقي. لأننا نرى أشخاصاً، على الرغم من مواظبتهم على التناول من العشاء الرباني في كل أسبوع، يحيون حياةً بعيدة عن الله كل البعد. مما يدل على أنه ليست لهم حياة أبدية. بينما نرى المؤمنين الحقيقيين في كل الطوائف المسيحية دون استثناء، يحيون بكل تقوى وقداسة، حتى إذا حالت بينهم وبين الاشتراك في هذا العشاء عقبات (مثل المرض أو السفر)، الأمر الذي يدل على أن لهم بإيمانهم الحقيقي، هذه الحياة.

(ب) فضلاً عما تقدم فإن المسيح لم يكن يتحدث قبل الآيات الواردة في الحجة التي أمامنا أو بعدها عن التناول من العشاء الرباني، حتى كان يجوز الظن أن هذه الآيات خاصة به، بل كان يتحدث عن الإيمان بشخصه (فأولاً) قال قبلها لتلاميذه "هذا هو عمل الله (أو بالحري، هذا هو العمل الذي يريده الله): أن تؤمنوا بالذي أرسله". كما قال: "إن كل من يرى الابن و(بقلبه) ويؤمن به، تكون له الحياة الأبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير (يوحنا ٦، ٢٩، ٤٠). (ثانياً) وقال بعدها لهم: "ولكن منكم قوم لا يؤمنون". وقد شرح البشير هذا القول فسجل لنا "لأن يسوع من البدء علم من هم الذين يؤمنون، ومن هو الذي يسلمه" (يوحنا ٦: ٦٤ – ٦٥). وليس: لأن يسوع علم من البدء من هم الذين يقبلون الأكل من جسده والشرب من دمه، ومن هو الذي يرفض. (ثالثاً) وعندما وجد المسيح تلاميذه ينصرفون من حوله، تركهم وشأنهم ــ وتصرفه هذا لا يعلل إلاّ بأنهم رفضوا الإيمان به رباً وفادياً لهم. إذ لو كان سبب انصرافهم عنه راجعاً إلى اعتقادهم أنه كان يطلب منهم الأكل من جسده والشرب من

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

دمه بالمعنى الحرفي، لكان قد أعلن لهم أن ذلك سيكون تحت شكلي الخبز والخمر (كما يقول المؤمنون بالاستحالة) حتى يظلوا معه ويفيدوا منه. (رابعاً) إن بطرس الرسول عندما قال للمسيح "يا ربّ إلى من نذهب ؟ وكلام الحياة الأبدية عندك. ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحي" (يوحنا ٦: ٦٩) اكتفى المسيح بإجابته، بينما لو كان المسيح قد أراد بحديثه السابق الأكل من جسده والشرب من دمه بالمعنى الحرفي تحت شكلي الخبز والخمر، لرفض إجابة بطرس، إذ تكون خارجةً من الموضوع، بل وتكون تهرّباً من الاستجابة لما كان المسيح يطلبه منه ومن غيره وقتئذٍ ــ وإذا كان الأمر كذلك، فليس هناك مجال للشك في أن المسيح لم يكن يقصد بالأكل من جسده والشرب من دمه (الوارد في الآيات التي نتأملها) إلاّ الإيمان بشخصه رباً وفادياً معاً.

(ج) كما أننا إذا وضعنا أمامنا (أولاً) أن المسيح نطق بالآيات المذكورة في أوائل خدمته بين الناس، بينما أقام العشاء الرباني قبيل صلبه بساعات. وأنه ليس من المعقول أنه كان يتحدث مع الناس في أوائل خدمته بينهم عن موضوع لم يكن قد أعلن شيئاً عنه بعد[٣٠]، لكن المعقول أنه كان يتحدث معهم وقتئذٍ عن وجوب الإيمان به، لأن هذا الموضوع هو الذي يتناسب مع أوائل خدمته بينهم. (ثانياً) أن معظم الذين وجه

---

[٣٠] – أما الدعوى [بأن حديث المسيح الوارد في (يوحنا ٦) كان تمهيداً للعشاء الرباني]، فلا يجوز الأخذ بها، إذ فضلاً عن أن الغرض من موضوع هذا الحديث يختلف كل الاختلاف عن الغرض من ممارسة العشاء الرباني، فإن يوحنا الذي سجل الحديث المذكور، لم يذكر شيئاً عن تأسيس هذا العشاء. وليس من المعقول إطلاقاً أن يقود الروح القدس شخصاً لكتابة تمهيد عن موضوع ما، ثم لا يقوده بعد ذلك للكتابة عن الموضوع نفسه.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

المسيح إليهم هذه الآيات، كانوا غير مؤمنين أو مؤمنين بالاسم (يوحنا ٦: ١٣ و٤١و٤٢). وأمثال هؤلاء لا يتحدث المسيح معهم عن العشاء الرباني بل عن الإيمان بشخصه. لأن ممارسة هذا العشاء مقصورة على المؤمنين الحقيقيين، إذ أن هؤلاء وحدهم هم الذين يقدرون عظمة كفارة المسيح ويعرفون فوائدها المتعددة. والدليل على ذلك أن المسيح صرف يهوذا الإسخريوطي قبل تأسيس هذا العشاء (يوحنا ١٣: ٢٧).

(ثالثاً) إن الغرض من العشاء الرباني ليس هو الحصول على الغفران أو التمتّع بالحياة الأبدية كما ذكرنا فيما سلف، أدركنا بيقين ليس بعده يقين أن الآيات التي نتأملها ليست خاصةً بالعشاء الرباني بل بالإيمان الحقيقي بالمسيح، أو بالحري بقبوله رباً وفادياً في النفس لأجل إحيائها.

(د) هذا وقد أدرك علماء المسيحيين منذ القرون الأولى، أن حديث المسيح عن التغذي بجسده ودمه الوارد في (يوحنا ٦) يراد به المعنى الروحي، أو بالحري الإيمان الحقيقي بشخصه، فمن المأثور عن يوسابيوس أنه قال في شرحه للآية "الكلام الذي أكلّمكم به هو روح وحياة" (يوحنا ٦: ٣٦): "كأن المسيح يقول لتلاميذه، لا تظنوا إني أتكلم معكم عن الجسد الذي أنا حامله، كأن هذا يجب أن يؤكل. ولا تظنوا إني أقدم لكم دمي الطبيعي لكي تشربوه. لكن اعلموا أن الكلمات نفسها التي كلّمتكم بها هي روح وحياة، حتى أن ذات كلامي (كأنه) لحم ودم، والذي يخصصه لنفسه كأنه يقتات بطعام سماوي، كما يكون شريكاً في الحياة السماوية". ومن المأثور عن أوغسطينوس أنه قال: "إن حديث المسيح عن الأكل من جسده والشرب من دمه لا يجوز فهمه حرفياً، لأن نعمته لا تقبل بالأسنان" وعن أثناسيوس الرسولي أنه قال: "إن

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

التناول من جسد المسيح ودمه لا يكون إلاّ روحياً"، أي أن هذا التناول لا يكون بالفم مع الاعتقاد في النفس بأن الخبز والخمر هما ذات جسد المسيح ودمه (كما ذهب البعض)، بل يكون باستقبال النفس (وليس الفم) للمسيح، وذلك ليكون مخلّصاً وحياةً لها[٣١].

أخيراً نقول إن الأستاذ البرتينوس سجل في كتابه (D'Eucharist)) أن أحرار الفكر من رجال الدين عند الكاثوليك، عرفوا أن حديث المسيح عن الأكل من جسده والشرب من دمه الوارد في (يوحنا ٦) خاص بالإيمان بشخصه. ومن هؤلاء الأحرار اثنان من الباباوات، وأربعة من الكرادلة، وخمسة من الأساقفة، وبعض علماء اللاهوت[٣٢] ــ وفي هذا كل الكفاية لاقتناع من يرومون معرفة الحقيقة.

٢
أصحاب الحق في العشاء الرباني

---

[٣١] – عن: نظام التعليم في علم اللاهوت القويم ص٤٤٥، ريحانة النفوس في أصل المعتقدات والطقوس ص٥٧، شرح كلمة "Eucharist" ومترادفاتها في دوائر المعارف الإنجليزية.

[٣٢] – أما السبب المباشر في تحدث المسيح مع اليهود عن الإيمان بشخصه في صيغة الأكل من جسده والشرب كمن دمه، فيرجع إلى أنهم كانوا يريدون أن يعطيهم طعاماً مثل المن الذي أعطاه الله لآبائهم من قبل (يوحنا ٦: ٣٠–٥٨). فحول المسيح أنظارهم عن الطعام المادي إلى الطعام الروحي الذي هو شخصه الكريم. وهذا هو عين ما عمله له المجد مع السامرية، فقد تحدث معها عن الإيمان بشخصه في صيغة الشرب، لأنها كانت تريد أن يعطيها ماءً لتشرب (يوحنا ٤: ١٥).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

حقاً إن الربّ قال للرسل دون غيرهم عن العشاء الرباني "اصنعوا هذا لذكري" (لوقا ٢٢: ١٩). ولكن بالرجوع إلى الكتاب المقدس يتّضح لنا أن الربّ لم يقدم لهم هذه الوصية بصفتهم الشخصية، حتى كان يجوز الظن بوجوب وجود خلفاء لهم للقيام بهذا العشاء، بل قدّمها لهم بصفتهم أوائل المؤمنين الحقيقيين. والدليل على ذلك أنه لا توجد آية واحدة في الكتاب المقدس، تنصّ على أن القيام بالعشاء الرباني منوط بالقسوس أو أصحاب المواهب، بينما توجد آيات متعددة تدل على أن القيام به خاص بجميع المؤمنين الحقيقيين، كما يتّضح مما يلي:

١- قال بولس الرسول لكنيسة كورنثوس، أي لجميع المؤمنين الحقيقيين بها (١كورنثوس ١: ٥): "لأني تسلّمت من الرب ما سلمتكم أيضاً. أن الربّ يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزاً وشكر فكسر، وقال: خذوا كلوا. هذا هو جسدي المكسور لأجلكم" (١كورنثوس ١١: ٢٢) فهذا الرسول لم يسلم القيام بالعشاء الرباني إلى فئة خاصة من المؤمنين، بل إليهم جميعاً.

٢- قال كاتب سفر الأعمال "وفي أول الأسبوع، إذ كان التلاميذ، أو بالحري المؤمنون الحقيقيون (قابل أعمال ٩: ١ مع ١٩: ١) مجتمعين (أي مجتمعين كعادتهم) ليكسروا خبزاً" (أعمال ٢٠: ٧). كما قال عن الذين آمنوا في أول الأمر إنهم "كانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات" (أعمال ٢: ٤٢)، أي أنهم كانوا يواظبون على ممارسة العشاء الرباني معاً من تلقاء أنفسهم (وذلك بالطريقة التي كانوا يواظبون بها على الصلاة والشركة)، دون أن يكون بينهم قائد بشري يتفرّد بالقيام بهذا العشاء لهم.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٣- وعندما تحدّث بولس الرسول عن كأس العشاء الرباني، لم يقل الكأس التي أباركها. أو يباركها شخص معين، بل قال "الكأس التي نباركها[٣٣]". وعندما تحدث عن خبز هذا العشاء، لم يقل الخبز الذي أكسره أو يكسره شخص معين، بل قال "الخبز الذي نكسره" (١كورنثوس ١٠: ١٦). وبما أن الرسول لم يكن يتكلم عن نفسه بصيغة الجمع [إذ أن هذه الصيغة تستعمل للتعظيم، وهو لم يكن يعظّم ذاته على الإطلاق (١كورنثوس ١٥: ٢٩)]، وفي الوقت نفسه ليس من المعقول أنه كان يقصد بهذه الصيغة شخصه والرسل معه [لأنه كان يتحدث إلى كنيسة قد تفرّد هو بالكرازة بالإنجيل فيها (١كورنثوس ٢: ٤، ٤: ١٥)]، لذلك لا يكون قد قصد بالصيغة المذكورة إلاّ شخصه والمؤمنين الذين كان يكتب إليهم، بوصفه وإياهم وحدة واحدة أمام الله في المسيح، لا رئيس بينهم ولا مرؤوس، إذ أن رئيسهم ورأسهم جميعاً من هذه الناحية، هو المسيح دون سواه (أفسس٤: ١٥، كولوسي١: ١٨، ٢: ١٩).

٤- وعندما تحدث هذا الرسول عن إساءة الكورنثيين التصرّف في ممارسة العشاء الرباني، لم يوجه اللوم إلى شخص أو أشخاص منهم، بل وجه اللوم إليهم جميعاً

---

[٣٣] - ليس المراد بمباركة الكأس أننا نودع بركةً فيها، إذ فضلاً عن أنه ليس لنا هذا السلطان، فالبركة الروحية لا تحل في المادة، ثم تنتقل بعد ذلك إلى من يستعملها، بل تنتقل من الله مباشرةً إلى النفوس المتفتّحة له والمشتاقة إليه. بل المراد بمباركتها (كما يقول علماء اليونانية) إننا نشكر الله من أجل ما تدلّ عليه من معنى ــ وهذا المعنى هو الفداء الكريم الذي قام به المسيح. كما أننا إذا وضعنا أمامنا أن المباركة ترد بمعنى المدح، كما في القول "بارك الشعب المشروع"، علمنا أن القول "الكأس التي نباركها "يراد به أيضاً "الكأس التي نشيد بها، أو نشيد بما تدل عليه من معنى".

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(١كورنثوس ١١: ١٧-٣٤). وطبعاً لم يكن ليفعل ذلك، لولا أنه لم يكن بينهم رئيس من البشر يتفرّد بالقيام بهذا العشاء، بل كانوا هم الذين يقومون به بأنفسهم. فإذا أضفنا إلى ذلك، أن المؤمنين على اختلاف مستوياتهم، كانوا قد أخطأوا وأعوزهم مجد الله (رومية ٣: ٢٣)، وليس لأحدهم مجال للقبول أمامه إلاّ على أساس كفارة المسيح التي يمثلها العشاء الرباني، أدركنا أنه يجب أن لا يكون لواحد منهم الأفضلية للتفرّد بالقيام بهذا العشاء.

٥- وقال هذا الرسول للكورنثيين أيضاً "إذاً يا أخوتي: حين تجتمعون للأكل (من عشاء الرب) انتظروا بعضكم بعضاً" (١كورنثوس ١١: ٢٢-٣٣). ومن هذه الآية يتّضح لنا أنه لم يكن هناك بين المؤمنين وقتئذٍ شخص مسؤول عن العشاء الرباني لأنه لو كان هناك مثل هذا الشخص، لكان الرسول قد أوصاه وحده بأن ينتظر حتى يحضر جميع المشتركين في العشاء المذكور. إذ أن قول الرسول للمؤمنين عامةً أن ينتظر بعضهم بعضاً يدل على أن العشاء الرباني كان يوضع بين أيديهم جميعاً، وأنهم كوحدة واحدة كانوا مسؤولين عن مراعاة كل ما يختصّ به. ذلك لأنه تذكار للفداء الكريم، الذي يجب على كل منهم أن يقدره كل التقدير.

أما الاعتراض [بأن تحريض الرسول لمؤمني كورنثوس على انتظار بعضهم بعضاً، خاص بولائم المحبة وليس بالعشاء الرباني، ومن ثم ليس هناك دليل على أنه لم يكن بين المؤمنين وقتئذٍ شخص مسؤول عن هذا العشاء]، فلا مجال له على الإطلاق. لأن الرسول قال لهم قبل التحريض المذكور "لأني تسلّمت من الربّ ما سلّمتكم أيضاً. أن الربّ يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزاً وشكر فكسر وقال: "خذوا كلوا

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

هذا هو جسدي المكسور لأجلكم اصنعوا هذا لذكري ..." (١كورنثوس ١١: ٢٣-٣٣). ومن ثم لا يكون وجوب الانتظار خاصاً بولائم المحبة كما يقال. وإذا كان كذلك، لا ندحة من التسليم بأنه لم يكن بين المؤمنين وقتئذٍ شخص مسؤول عن العشاء الرباني، بل كان كل منهم مسؤولاً عنه، كما ذكرنا.

٦- وقال لهم أيضاً: "ولكن ليمتحن الإنسان نفسه، وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس، لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق، يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الربّ ودمه". فامتحان كل مؤمن لنفسه بنفسه، وأكله بعد ذلك من الخبز وشربه من الخمر من تلقاء ذاته، دليل على أنه لم يكن في العصر الرسولي شخص مسؤول كالكاهن أو القسيس (مثلاً) يعترف المؤمنون أمامه بخطاياهم. حتى يصرّح لهم بالاشتراك في العشاء الرباني، بل كان كل منهم مسؤولاً من هذه الناحية أمام الله دون سواه. فإذا أضفنا إلى ما تقدّم أن العشاء الرباني ليس ذبيحة لغفران الخطايا (كما ذكرنا في الفصل السابق)، اتّضح لنا أنه ليس هناك مبرر لوجود أشخاص معينين يتولون القيام به.

٧- إن فريضة الفصح التي كانت رمزاً إلى العشاء الرباني من بعض الوجوه[٣٤]، سلّمها الله لهرون وموسى ليس لكي يقوما بها مع الكهنة واللاويين فحسب لأفراد الشعب. بل لكي يوصياهم جميعاً بالقيام بها. ولذلك كانت كل عائلة منهم تقوم بهذه الفريضة في المنزل الذي تقيم فيه، دون أن تلجأ إلى كاهن أو لاوي على

[٣٤] - لأن هذه الفريضة كانت تذكاراً لخلاص بني إسرائيل قديماً من الاستعباد الفرعوني، ومن القتل بسيف الملاك المهلك، والعشاء الرباني تذكار للخلاص من سلطة الخطية ومن عذابها الأبدي معاً.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الإطلاق (خروج ١٢: ١-١٠). ومن ثم فإن فكرة إسناد القيام بالعشاء الرباني إلى فئة خاصة من المؤمنين، لا يكون لها سند ليس في العهد الجديد فحسب، بل ولا في العهد القديم أيضاً.

أخيراً نقول: إذا وضعنا أمامنا أن الربّ يريد أن يكون كل واحد من المؤمنين في حالة شعور بمسؤولية شخصية من جهة الوجود في حالة القداسة أمامه، والاشتراك في عشائه بالخشوع اللائق بجلال الذكرى التي يشير إليها ــ اتّضح لنا أن إسناد القيام بهذا العشاء إلى جميع المؤمنين الحقيقيين تحت سيادة الروح القدس وقيادته، هو السبيل الذي يتّفق مع مشيئة الله كل الاتفاق. ولذلك فإنه كما يعمل في قلوب بعضهم للشكر أو الترنيم، ويعمل في قلوب البعض الآخر للوعظ أو التعليم، يعمل في قلوب البعض أيضاً للقيام بالعشاء المذكور.

٣
الاعتراضات والرد عليها

١- [إن الرسل عندما كانوا يحضرون اجتماع العشاء الرباني، كانوا ولا شكّ، هم الذين يقومون بهذا العشاء. ولذلك لا بدّ أنهم عيّنوا خلفاء لهم للقيام به، في حالة غيابهم أو انتقالهم من العالم].

الرد: فضلاً عن أن الرسل لم يقيموا خلفاء لهم كما اتّضح لنا مما سلف، فإننا إذا رجعنا إلى الكتاب المقدس، نرى أن المؤمنين كانوا في أثناء وجود الرسل يواظبون من تلقاء أنفسهم على "الشركة وكسر الخبز والصلوات" (أعمال ٢: ٤٢). ولذلك فكل ما كان يفعله الرسل وقتئذٍ هو التعليم وحده، كما يتّضح من (أعمال ٢٠: ٧)، وذلك

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

بسبب المواهب الخاصة التي أعطاها الله لهم، ومن ثم لا مجال للاستنتاج الذي نحن بصدده ــ أما إذا كان الرسل قد قاموا بهذا العشاء، فإن ذلك لم يكن بصفتهم الشخصية كرسل، بل بصفتهم كمؤمنين حقيقيين لهم امتياز القيام به، كما ذكرنا فيما سلف.

٢- [إن الوحي، وإن كان قد سجل لنا أن المؤمنين في ترواس (أعمال ٢٠: ٧) كانوا مجتمعين ليكسروا خبزاً، لكنه سجل لنا أن بولس وحده هو الذي كسر الخبز (عدد ١١)، الأمر الذي يدل على أن المؤمنين العاديين لا يجوز لهم القيام بهذا العشاء].

الرد: (أ) إن قول الوحي "إذ كان التلاميذ مجتمعين ليكسروا خبزاً، (أعمال ٢٠: ٧)، وليس مجتمعين مع بولس ليكسر لهم خبزاً، دليل واضح على أن هؤلاء التلاميذ كانوا يقومون بالعشاء الرباني بينهم وبين أنفسهم، وذلك بوصفهم مؤمنين بالمسيح يقدرون كفارته الثمينة ويعتزون بها.

(ب) كما أنه بالرجوع إلى الأصحاح المقتبسة منه هذه الآية، يتّضح لنا أنه ليس من المعقول أن يكون المؤمنون المذكورون قد اجتمعوا ليكسروا خبزاً في المساء (وهو الموعد الذي عمل فيه المسيح هذا العشاء، ونهج الرسل بعده على منواله)، ولكنهم لم يعملوه إلاّ بعد منتصف الليل، عندما كسر بولس الخبز. وإذا كان الأمر كذلك، اتّضح لنا أن الغرض من كسر بولس للخبز هنا، هو لتناول الطعام العادي. ومما يثبت هذه الحقيقة أن الوحي يقول عنه إنه "كسر خبزاً وأكل"، أي أنه وحده هو الذي

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أكل ــ ويرجع السبب في ذلك إلى أنه كان مزمعاً أن يسافر في صباح اليوم التالي إلى بلاد بعيدة (٢٠: ١٣-١٦).

ومما يثبت أيضاً أن هذا هو المعنى المقصود بكسر الخبز هنا، أن الوحي قال في موضع آخر عن الرسول المذكور إنه لما هبت الزوابع على السفينة التي كان فيها، وخاف المسافرون الذين كانوا معه وامتنعوا عن الأكل أياماً، قال لهم "ألتمس أن تتناولوا طعاماً، لأن هذا يكون مفيداً لنجاتكم". ولما قال هذا "أخذ خبزاً وشكر الله أمام الجميع وكسر وابتدأ يأكل ..." (أعمال ٢٧: ٢٧-٣٧) ــ وما أكله وقتئذٍ كان طبعاً طعاماً عادياً.

٣- [إن سوء التصرّف الذي حدث بين مسيحيي كورنثوس عند القيام بالعشاء الرباني (١كورنثوس ١١: ١٧-٢٢)، يقتضي إسناده إلى أشخاص مسؤولين، حتى يحافظوا على النظام عند القيام به].

الرد: فضلاً عن أن الرسل لم يقيموا هؤلاء الأشخاص، ولا يجوز لنا إقامة أمثالهم من تلقاء أنفسنا، لضرورة التمسّك بالوحي الإلهي كما هو، نقول: ليس من حقنا أن نعمل نظاماً للعبادة لم ينص عليه الكتاب المقدس، لأننا لسنا أحكم من الله، أم أكثر غيرةً على مجده، أو أعظم فهماً منه لطريقة العبادة المرضية أمامه، لذلك فإن حصر القيام بالعشاء الرباني في فئة خاصة من المؤمنين، مهما كان مركزهم، لتجنّب ما عساه أن يحدث من سوء التصرّف في العبادة (كما يقال)، هو محاولة لإصلاح خطأ، بارتكاب خطأ أشرّ منه، لأن عدم التقيّد بأقوال الوحي، هو مخالفة دونها كل مخالفة. وإذا كان

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الأمر كذلك، فإن ما يجب علينا عمله، ليس أن نعدّل طريقة العبادة التي وضعها الله لنا حتى تكون ملائمة لحالتنا الروحية الضعيفة، بل أن نصلّي بكل إخلاص حتى يرفع الروح القدس نفوسنا إلى المستوى الذي يتناسب مع القيام بالعبادة اللائقة بالله، وحينئذٍ سوف نختبر عملياً قيادة هذا الروح لنا فيها من أولها إلى آخرها، وسوف نختبر مع هذه القيادة هيبة الله التي تجعل العبادة تسير بنظام يفوق كل نظام.

٤- [إن البركة على العشاء الرباني خاصة بالحكماء. فقد قال الرسول " أقوال كما للحكماء ... احكموا أنتم في ما أقول: كأس البركة التي نباركها، أليست هي شركة دم المسيح! الخبز الذي نكسره، أليس هو شركة جسد المسيح! ... لا تقدروا أن تشتركوا في مائدة الربّ وفي مائدة الشياطين" (١كورنثوس ١٠: ١٥-٢٢) ــ والحكماء المذكورون هم الأشخاص المسؤولون عن القيام بالعشاء الرباني].

الرد: فضلاً عن أن هذه الشركة يراد بها الشكر كما ذكرنا فيما سلف، فإنه بالرجوع إلى الأصحاح المقتبسة منه الآيات التي أمامنا، يتّضح لنا أن الرسول لا يقصد بكلمة الحكماء أشخاصاً يتّصفون بالحكمة دون غيرهم من المؤمنين الحقيقيين، حتى كان يظن أنهم هم المسؤولون عن القيام بالعشاء الرباني، بل يقصد بها توجيه هؤلاء المؤمنين إلى أن يقفوا موقف الحكماء، حتى يستطيعوا أن يحكموا حكماً صائباً في ما كانوا يفعلون، لأنه مع اشتراك بعضهم في مائدة الربّ، كانوا يشتركون في مائدة الشياطين [أو بالحري مائدة الوثنيين (١كورنثوس ١٠: ٢٠)]. والحال أن من لديه ذرة من

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الحكمة أو العقل السليم، لا يمكن أن يشترك في هاتين المائدتين معاً، وذلك للتناقض الكبير بينهما.

٥- [إن ربّ العائلة في العهد القديم هو الذي كان يوزّع على أفراد عائلته خروف الفصح، ولذلك لا شكّ أن الرسل أقاموا أشخاصاً يكونون في منزلة الآباء الروحيين، ليتولوا توزيع العشاء الرباني على المؤمنين، لأن خروف الفصح كان رمزاً إلى هذا العشاء من بعض الوجوه].

الرد: (أ) فضلاً عن أنه ليست هناك آية في الكتاب المقدس تؤيد هذا الاستنتاج، نقول: إن ربّ العائلة المسيحية هو الرب يسوع المسيح نفسه، وهو له المجد بلاهوته في اجتماع ذكرى موته (كما في كل اجتماعات العبادة والخدمة)، وذلك كرأس الجسد ورئيس المتّكأ، والذي له وحده أن يقول للمؤمنين بوصفه فاديهم هذا القول الكريم الذي يأخذ بمجامع النفس بأسرها: "هذا هو جسدي المكسور لأجلكم. اصنعوا هذا لذكري ... وهذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري". (١كورنثوس ١١: ٢٤-٢٥). ومن ثم، فإن كان الذين يقومون بالشكر والتوزيع أفراداً من المؤمنين (وذلك بإرشاد الروح القدس وقيادته، كما ذكرنا فيما سلف)، يجب أن تتجه نفوس الجميع إلى المسيح. وبالإيمان القلبي بحضوره الشخصي معهم، يتناولون من يده الخبز والكأس، وذلك بكل تعبّد وخشوع لشخصه الكريم.

(ب) فإذا أضفنا إلى ما تقدم (أولاً) أنه لو كان القيام بالعشاء الرباني منوطاً بأشخاص معينين كالقسوس (مثلاً)، وكان هؤلاء معرّضين للتخلّف عن القيام به يوماً

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ما، بسبب مرض مفاجئ أو سفر عاجل، لترتب على ذلك حرمان المؤمنين التابعين لهم من ممارسة هذا العشاء (ثانياً) وإن كان هؤلاء الأشخاص لم يتعرّضوا لهذا أو ذاك، لكنهم كانوا متأثّرين بخطايا لم ينهضوا منها بعد، لما استطاعوا (إن كان لهم ضمير صالح) أن يقوموا بالعشاء المذكور. وإن تجاسروا على القيام به مخالفين في ذلك كلمة الله (التي تأمر بأن يمتحن كل واحد نفسه قبل الاشتراك) كانت صلاتهم جسدية، وضعفت تبعاً لذلك الحالة الروحية للمؤمنين التابعين لهم، اتّضح لنا أن إسناد القيام بالعشاء الرباني إلى المؤمنين الحقيقيين عامة تحت إرشاد الروح القدس وقيادته، أمر يتوافق مع الحقّ الإلهي كل التوافق.

٦- [كان صموئيل النبي وحده هو الذي له حق تقديم الذبيحة، ولذلك عندما قام شاول بتقديمها عوضاً عنه، اعتبر أحمق، وزال الملك عنه (١صموئيل ١٣: ٨-١٤). وهكذا الحال من جهة العشاء الرباني، فمن يقومون به من غير الكهنة الرسميين يكونون حمقى، ولا يمكن أن يثبتوا أمام الله].

الرد: فضلاً عن أن العشاء الرباني ليس ذبيحة ولا يتطلّب القيام به وجود كهنة بالمعنى الحرفي كما ذكرنا، فإن الربّ لم يأمرنا بالالتجاء إلى شخص معين لكي يقوم بهذا العشاء لأجلنا. ومن ثم فإن التجأنا إلى إنسان ما لهذا الغرض، يكون مخالفةً وتنكّراً لرياسته، واعتماداً على البشر دونه، الأمر الذي يبعد قلوبنا عنه ويحرمنا من بركاته.

وإذا كان الأمر كذلك، فليس هناك مجال للاعتقاد بوجوب وجود خلفاء للرسل أو كهنة بالمعنى الحرفي، يكون من حقهم وحدهم القيام بالعشاء الرباني.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الباب الخامس
الحجج الخاصة بالاعتراف، والحصول على الغفران
١
الحجج الكتابية، والردّ عليها

١- [قال يعقوب الرسول: "اعترفوا بعضكم لبعض بالزلاّت، وصلّوا بعضكم لأجل بعض لكي تشفوا" (يعقوب ٥: ١٧) ــ فهذه الآية والآية السابقة لها تدلان على وجوب وجود قسوس في كل كنيسة لكي نعترف أمامهم بخطايانا، حتى ننال الصفح والغفران].

الرد: إننا لا ننكر أهمية وجود قسوس بين كل جماعة مسيحية، يكونون شيوخاً في السن وفي الإيمان، وذلك لرعاية المؤمنين الذين فيها، ولكن ما ننكره هو أنه يجب أن نعترف لهؤلاء القسوس بخطايانا حتى ننال غفراناً لها، كما يتّضح لنا مما يلي:

(أ) إن الآية التي نحن بصددها لا تدل على أن المؤمنين يجب أن يعترفوا بخطاياهم للقسوس أو الشيوخ، بل أن يعترفوا بها للأشخاص الذين يُخطئون إليهم. فإذا كانوا يخطئون إلى القسوس (مثلاً) يجب أن يعترفوا لهم. وعلى هذا النسق نفسه، إذا كان القسوس يُخطئون إلى إخوتهم المؤمنين من غير القسوس زملائهم، يجب أن يعترفوا بدورهم لهؤلاء المؤمنين. لأن هذا هو المعنى الواضح لقول الوحي "اعترفوا بعضكم لبعض بالزلاّت، وصلّوا بعضكم لأجل بعضٍ". كما أن هذه الآية لا تقول إن القسوس

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يغفرون الخطية، أو يتوسطون لله لأجل غفرانها (حتى يجوز القول بضرورة وجود أشخاص أقرب إلى الله منا يقومون بأحد هذين العملين)، بل تقول (كما يتّضح من الآية السابقة التي نحن بصددها) "وإن كان قد فعل (المريض) خطية، تغفر له"، أي أن الله هو الذي يغفرها له وليس القسوس. لأنه ليس هناك ما يدعو الوحي إلى استعمال صيغة المبني للمجهول في الآية المذكورة، لو كان القسوس المذكورون فيها هم الذين يغفرون الخطية.

٢- [قال الوحي عن اليهود إنهم اعتمدوا من يوحنا معترفين بخطاياهم (متى ٣: ٦)، وإن الذين آمنوا بالمسيح كانوا يأتون إلى الرسل معترفين ومخبرين بأفعالهم (أعمال ١٩: ١٨). ومن ثم يجب أن يكون في الكنيسة خلفاء للرسل نعترف أمامهم بخطايانا، حتى ننال الصفح والغفران.

الرد: فضلاً عن أنه ليس هناك مجال لوجود خلفاء للرسل كما ذكرنا فيما سلف، فإن هاتين الآيتين لا تدلان على أن الاعتراف يجب أن يكون سرياً أمام أشخاص أياً كان مقامهم، حتى نحصل بواسطتهم على الغفران (كما هو متبع عند القائلين بوجود كهنة بالمعنى الحرفي لديهم في الوقت الحاضر)، بل تدلان على أن هذا الاعتراف يجب أن يكون علنياً، وذلك للشهادة على نعمة الله التي تخلص من الخطية وتغفرها. وهذا ما يليق بنا جميعاً أن نفعله، عندما نخبر بفضائل الذي دعانا من الظلمة إلى نوره العجيب (١بطرس ٢: ٩). وقد سبقنا بولس الرسول إلى هذا الاعتراف، فقال "صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول، أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلّص الخطاة الذين أولهم

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أنا" (١تيموثاوس ١: ١٥). كما أن المعترفين بخطاياهم في أيام يوحنا المعمدان، لم يقبلوا الغفران منه بل من الرب يسوع نفسه (الذي كان يوحنا قد أنبأ في أيامه بمجيئه) وذلك بواسطة الإيمان القلبي بشخصه (لوقا ١: ٧٦-٧٧). لأنه له المجد هو وحده الذي يغفر الخطايا لمن يعترف بها ويؤمن به إيماناً حقيقياً (لوقا ٧: ٣٦-٥٠). وهكذا الحال من جهة المعترفين بخطاياهم في أيام الرسل، فإنهم لم يتقبلوا الغفران منهم، بل من الربّ يسوع نفسه أيضاً، وذلك بواسطة الإيمان الحقيقي بشخصه. فقد قال بطرس الرسول عنه "له يشهد جميع الأنبياء أن كل من يؤمن به، ينال باسمه غفران الخطايا" (أعمال ١٠: ٤٣).

٣- [قال الله لموسى النبي: "فإن كان يذنب (إنسان) في شيء من هذه (الوصايا)، فيقرّ بما أخطأ به، ويأتي إلى الربّ (عن طريق الكاهن) بذبيحة لإثمه" (لاويين ٥: ٥)، الأمر الذي يدل على وجوب اعتراف المخطئ في الوقت الحاضر أمام كاهن أو أي شخص يقوم مقامه، حتى تغفر له].

الرد: فضلاً عن أنه ليس هناك أي دليل كتابي على وجود كهنة بالمعنى الحرفي في العهد الجديد، كما ذكرنا بالتفصيل في كتاب "كهنوت المؤمنين" الأمر الذي لا يدع مجالاً للنظر في هذه الحجة أو غيرها من مثيلاتها، نقول:

(أ) إن الإقرار أو الاعتراف الوارد هنا لم يكن سرياً بل علنياً، ولم يكن الغرض منه أن يغفر الكاهن في العهد القديم خطية المذنب، بل أن يطلب منه الذبيحة القانونية

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

حتى بتقديمها لله، يغفر الله له خطيته. ولكن لا يمكن أن يكون هذا هو الحال معنا في العهد الجديد، لأننا نعلم أن المسيح قدّم نفسه ذبيحة لله، وأن ذبيحته قد وفت كل مطالب عدالة الله وقداسته إلى الأبد (يوحنا ١٩: ٣٠)، حتى أعلن الوحي أنه "لا يكون بعد قربان عن الخطية" (عبرانيين ١٠: ١٨). ومن ثم لا يتطلب الأمر منا إذا أخطأنا، أن نقدّم أي ذبيحة (أو يقدّمها أحد لأجلنا) لكي نحصل على الغفران.

(ب) فضلاً عن ذلك، فالمسيح كما أنه الذبيحة، هو أيضاً الكاهن (عبرانيين ١٠: ١١)، كما ذكرنا بالتفصيل في كتاب (كهنوت المسيح). ومن ثم فالاعتراف بالخطية يكون أمامه وحده. وذلك للسببين الآتيين:

(أولاً) إنه معنا في كل حين، الأمر الذي ييسّر لنا الاعتراف له في الحال بالخطية التي نقع فيها، حتى ننال غفراناً سريعاً عنها يحررنا من ثقلها على نفوسنا، ويُهيّئنا لاستئناف الشركة الروحية مع الله. (ثانياً) إن الاعتراف يكون للمخطأ إليه، والذي نُخطئ إليه هو المسيح وحده، لأنه صاحب الحقّ علينا، وفي الوقت نفسه هو الذي يجوز له أن يتنازل لنا عن هذا الحقّ، بوصفه الذي وفاه نيابةً عنا على الصليب.

٤- [قال الله لموسى النبي إنه بعد ذبح تيس الخطية، يضع هرون يديه على رأس التيس الحي، ويعترف عليه بكل ذنوب بني إسرائيل وكل سيّئاتهم مع كل خطاياهم، ويجعلها على رأس هذا التيس. ثم يرسله بيد من يلاقيه إلى البرية، ليحمل التيس عليه كل ذنوبهم إلى أرض مقفرة (لاويين ١٦: ١٠-٢٢)، الأمر الذي يدلّ على

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وجوب اعتراف الخاطئ في الوقت الحاضر أمام شخص في مرتبة هرون الكاهن، حتى ينال الصفح والغفران].

الرد: فضلاً عن أنه ليس هناك أي دليل كتابي على وجود كهنة بالمعنى الحرفي في العهد الجديد، كما ذكرنا، نقول: إن المعترف بالخطية في هذه الآيات ليس هو الخاطئ، بل هرون الكاهن، وذلك بوصفه النائب عن الخطاة جميعاً. وهو في ذلك رمز إلى ربّنا يسوع المسيح نفسه كاهننا الحقيقي، الذي اعترف (بوصفه نائبنا) بكل خطايانا لله، كما لو كان هو الذي ارتكبها (مزمور ٦٩: ٥)، حتى أنه له المجد اعتبر أثيماً (لوقا ٢٢: ٣٧) ــ كما أن المعترف عليه في الآيات المذكورة، ليس هو الكاهن، بل الذبيحة التي كانت هي أيضاً رمزاً إلى ربّنا يسوع المسيح بوصفه الذي حمل خطايانا، وقبل في نفسه نيابةً عنا تنفيذ الأحكام الصادرة ضدّنا بسببها (إشعياء ٥٣: ٦-١٢)، ومن ثم لا يسوّغ اتخاذ هذه الآيات مبرراً للاعتراف أمام إنسان ما، للحصول بواسطته على الغفران.

٥- [قال يشوع لعخان "يا ابني إعطِ الآن مجداً للربّ إله إسرائيل، واعترف له، وأخبرني الآن ماذا فعلت" (يشوع ٧: ١٩)، الأمر الذي يدلّ على وجوب اعتراف الخاطئ أمام شخص معين من الله على الأرض، حتى ينال الصفح والغفران].

الرد: يتّضح لنا من هذه الآية والآيات التالية لها أن اعتراف عخان بما عمله من شرّ، لم يكن ليشوع بل كان لله، وأن غرض يشوع من معرفة هذا الشر، لم يكن

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

النظر في منح الغفران لعخان، بل إشهار خطيته حتى يتّضح للملأ استحقاقه للقصاص، الذي كان الله عتيداً أن يوقعه عليه. لأن موقف يشوع كان موقف الحاكم من قبل الله، وكان اعتراف عخان اعتراف مذنب أمام هذا الحاكم. ولذلك كانت نتيجة المحاكمة، ليس الغفران بل إصدار الحكم برجم عخان هو وأفراد عائلته. ومن ثم ليس هناك مجال لاتخاذ هذه الآية مبرراً للاعتراف أمام إنسان ما للحصول على الغفران.

٦- [عندما قال داود لناثان النبي: "قد أخطأت إلى الربّ"، قال له ناثان: "الربّ أيضاً نقل عنك خطيتك. لا تموت" (٢صموئيل ١٢: ١٣). وهذا دليل على وجوب الاعتراف بالخطية أمام رجال معينين من قبل الله، لكي ننال الصفح والغفران].

الرد: يتّضح لنا من هذه الآية وما قبلها أن ناثان لم يطلب من داود أن يعترف له بخطيته، وكل ما فعله أنه أيقظ ضمير داود، فأحسن هذا بما ارتكبه من خطأ. ومن ثم صاح قائلاً "قد أخطأت إلى الربّ". كما يتّضح أن ناثان لم يغفر له خطية، بل أعلن له أن الله نقلها عنه أو غفرها له. لأن داود اعترف بها وندم لارتكابها، وهذا هو كل ما يطلبه الله من المؤمن الحقيقي حتى يمنحه الصفح والغفران ــ فمكتوب "من يقر بها (أي الخطايا) ويتركها يرحم" (أمثال ٢٨: ١٣) ــ وذلك على أساس كفارة المسيح الثمينة المعروفة لدى الله قبل تأسيس العالم (١بطرس ١: ١٩-٢٠).

٢
الحجج العقلية والرد عليها

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

١- [إن الذين يسيئون إلى الله بعمل الخطيئة، لا يكون في وسعهم الاعتراف بها أمامه مباشرةً، ومن ثم لا مفرّ من أن يعترفوا بها أمام رجال الدين، بوصفهم نوابه على الأرض، لكي ينالوا غفراناً عنها].

الرد: فضلاً عن أنه ليس هناك في العهد الجديد أشخاص غير الرسل والأنبياء، لهم الامتياز أن يكونوا نواباً على الأرض من جهة إعلان مشيئته، نقول: إن كان الاعتراف لا يكون قانونياً أو مجدياً، إلاّ إذا كان مقدماً للشخص المساء إليه. وبما أن الخطايا التي نأتيها أحياناً هي قبل كل شيء إساءة إلى الله، لأنها تتعارض مع الوصايا التي أعطاها لنا، وفي الوقت نفسه ليست هناك آية تدل على أن الله يأمرنا بالاعتراف بخطايانا لشخص سواه، إذن يجب أن نعترف بها له وحده.

ولذلك إذا رجعنا إلى الكتاب المقدس، نرى أنه حتى المؤمنين الذين عاشوا في العهد القديم (والذين كان الله قد عيّن لهم كهنة يتوسّطون بينهم وبينه، ويرفعون الذبائح إليه نيابةً عنهم) كانوا يعترفون بخطاياهم له وحده. فقد قال داود النبي "اعترف للرب بخطيتي" (مزمور ٣٢: ٥). كما قال "إليك وحدك أخطأت والشرّ قدامك صنعت" (مزمور ٥١: ٤). وكان نحميا يعترف بخطايا بني إسرائيل التي أخطأوا بها إلى الله قائلاً "فأنا وبيت أبي قد أخطأنا" (نحميا ١: ٦). وهكذا فعل دانيال النبي فقال صليت إلى الرب إلهي واعترفت وقلت: أيها الرب الإله العظيم المهوب حافظ العهد والرحمة لمحبيه وحافظي وصاياه، أخطأنا وأثمنا وعملنا الشر وتمرّدنا وحدنا عن وصاياك

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وعن أحكامك[٣٥] ". كما قال "وبينما أنا أتكلم وأعترف بخطيتي وخطية شعبي إسرائيل، وأطرح تضرّعي أمام الرب إلهي عن جبل قدس إلهي ..." (دانيال ٩: ٥-٢٠).

وإذا كان الأمر كذلك، فلا مجال للقول بوجوب الاعتراف بالخطيئة أمام رجال الدين، لنحصل على الصفح والغفران.

٢- [إن الاعتراف بالخطيئة أمام رجال الدين، يزيل ثقلها عن ضمائرنا ومن ثم فهو علاج لنفوسنا وتحرير لها من الكبت الذي ينشأ بسبب كتمان الخطية. كما أن الاعتراف بها أمامهم، يجعلنا ندقق في سلوكنا، حتى لا نقف موقف المذنبين أمامهم مرة أخرى].

الرد: (أ) حقاً إن الخطية التي نسقط فيها تعذّبنا عذاباً أليماً. وإن الاعتراف بها يريح نفوسنا منها، كما يحررنا من كل كبت يمكن أن ينشأ بسببها. لكن الاعتراف لا يكون قانونياً أو مجدياً إلاّ إذا كان لله نفسه للأسباب السابق ذكرها. ولأنه أيضاً هو

---

[٣٥] - نرى في هذه الآيات عملاً من أعمال الكهنوت الروحي الجليلة، التي يمكن لكل المؤمنين الحقيقيين أن يمارسوها. فنحميا ودانيال مع أنهما لم يشتركا في خطايا الشعب، لكن حملاهما على نفسيهما، كما لو كانت خطاياهما الشخصية، وطلبا من الله الصفح عنها، كما ذكرنا في (الجزء الخاص بكهنوت المؤمنين). وهما من هذه الناحية صورة مصغرة للمسيح، فهو على الرغم من قداسته المطلقة، رضي أن يحمل في نفسه خطايانا، كما لو كان هو الذي فعلها (مزمور ٦٩: ١٥) حتى يرفع عنا القصاص الذي نستحقه بسببها.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الذي يستطيع أن يبعث الراحة إلى نفوسنا. فقد قال لنا "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال، وأنا أريحكم" (متى ١١: ٢٨-٣٠)، ولم يقل: اذهبوا إلى (فلان) لكي يريحكم.

وقد عرف رجال الله هذه الحقيقة كل المعرفة، فمثلاً قال داود النبي "لما سكت (على خطيتي ولم أعترف بها)، بليت عظامي من زفيري اليوم كله، لأن يدك (يا الله) ثقلت علي نهاراً وليلاً. تحوّلت رطوبتي إلى يبوسة القيظ". وكان لابدّ أن يظل داود على هذه الحال من البؤس والشقاء، لولا أنه اعترف بخطاياه لله. فقال له "أعترف لك بخطيتي. ولا أكتم إثمي. قلت أعترف للرب بذنبي، وأنت رفعت عني آثام خطيتي" (مزمور ٣٢: ٥).

(ب) أما من جهة الشطر الثاني من الحجة المعروضة أمامنا فنقول: إن المؤمن الحقيقي يخجل من ذكر خطاياه أمام الله أكثر من ذكرها أمام الناس، ليس فقط لأن الناس خطاة مثله، بل وأيضاً لأنه يشعر شعوراً صادقاً بقداسة الله التي لا حدّ لها، وحقّه المطلق عليه في كل صغيرة وكبيرة، كما يشعر شعوراً صادقاً بأن عينه تعالى تراقبه وتعرف كل حركاته وسكناته، وكل أفكاره وأقواله (مزمور ١٣٩: ١-٤). ولذلك فإنه يخشى الله أكثر مما يخشى الناس، والملائكة أيضاً.

٣- [إننا لا نستطيع الاقتراب من الله حتى يمكن أن نسمع منه التصريح بغفران خطايانا. ولذلك فالاعتراف بها أمام رجال الدين ضروري لنا، لأننا نستطيع أن نسمع منهم التصريح بغفرانها، فتطمئن قلوبنا وتستريح].

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الرد: وإن كنا لا نستطيع أن نسمع بآذاننا المادية صوت الله معلناً لنا غفران الخطايا التي نعترف بها أمامه، غير أنه من الميسور لنا أن نسمعه بالإيمان في كتابه المقدس عندما نتوب عنها توبةً حقيقية، وذلك بوضوح لا نحتاج معه إلى إعلان من أي رجل من رجال الدين. فقد قال الوحي "فتوبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم" (أعمال٣: ١٩) ومن ثم ليس هناك مجال للحجة التي نحن بصددها على الإطلاق.

وقد عرف الأرثوذكس القدامى أيضاً، أن الاعتراف يكون للمسيح وحده، فقالوا: "ادعُ يسوع المسيح ابن الله من القلب بدون انقطاع، مع كل نسمة من أنفاسك، معترفاً له بخطاياك واثقاً من غفرانها، لأن النفس التي تداوم على الدعاء بذلك الاسم العظيم، سرعان ما تصل إلى صاحب الاسم ذاته". وقالوا أيضاً "لا تقل لي إني خاطئ، وليست لي الشجاعة أن أقف للصلاة ... إن كل من يعتبر نفسه مرذولاً، يستمع الله إليه كما استمع للعشار ... لنا ثقة مثل هذه لدى الله من جهة الصفح عن الخطايا السالفة".

وأيضاً "اعلم أنه ليس باستحقاقك تنال (إجابة) سؤالك بل بإيمانك". وأيضاً "خالقكَ يحب كلامك وحديثك أفضل من السرافيم [٣٦]". وأيضاً "إنه يكلّمنا بذاته، وبصوته الذي نحبّه ونتوق إليه، دون وسيط أياً كان". وأيضاً "إذا سألت شيئاً من الآب السماوي في إيمان باسم يسوع المسيح، فإنه من أجل محبته لابن مسرّته، يُعطيك دون أن

[٣٦] – هم أقرب الملائكة إلى الله، ومعنى السرافيم: النورانيون أو اللاّمعون.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ينظر إلى استحقاقك أو إلى خطاياك. بشرط أن يكون لك معه ثبوت وحب" (حياة الصلاة الأرثوذكسية ٤٣١، ٣٤٢، ٤٠٥، ١٠١، ١٠٧).

٤- [إن الاعتراف بالخطية أمام الكهنة للحصول على الغفران، كان يمارس في الكنيسة منذ نشأتها، الأمر الذي يدل على أنه من تعليم الرسل أنفسهم].

الرد: فضلاً عن أنه لم تكن هناك فئة خاصة من المؤمنين تدعى كهنة بالمعنى الحرفي في العصر الرسولي، إذ أن الكهنة بهذا المعنى لم يظهروا في المسيحية إلاّ في القرن الثالث (كما ذكرنا في كتاب العشاء الرباني)، وفضلاً عن أن الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد لا يطلب منا الاعتراف بالخطية أمام أي فريق من الناس، الأمر الذي لا يدع مجالاً لهذه الحجة، نقول: بالرجوع إلى التاريخ[٣٧] نرى ما يأتي:

(أ) إن القديسين الذين عاشوا في القرون الأربعة الأولى، مثل باسيليوس الكبير ويوحنا ذهبي الفم، أعلنوا بكل صراحة أن الاعتراف يجب أن يكون لله وحده.

(ب) ولكن ظهر في أيام هؤلاء القديسين أساقفة كانوا يطلبون من المخطئ الاعتراف بخطيته علناً أمام الكنيسة (أو بالحري أمام جماعة المؤمنين الحقيقيين)، لكي يطلبوا من الله أن يغفرها له، ويساعده على السلوك بالتقوى والقداسة. ولكي يفرضوا (أي هؤلاء المؤمنون) أيضاً عليه ما يرونه مناسباً من التأديب، حتى يشعر بشناعة خطيته، ولا يعود إليها مرة أخرى. ومن أنواع التأديب التي كانوا يفرضونها: ارتداء المسوح (أو

---

[٣٧] – عن ريحانة النفوس، وتاريخ الكنيسة لموسهيم (للإنجيليين). والأسرار السبعة واللآلئ النفيسة ومختصر المقالات اللاّهوتية (للأرثوذكس والكاثوليك).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

بالحري الخيش المصبوغ باللون الأسود)، والامتناع عن الزينة والروائح العطرية، ومراعاة التقشّف التام في الطعام، والمواظبة على التنهد والبكاء، أو الصوم لبضعة أيام مع دفع مبلغ من المال للأرامل والأيتام. أو الحرمان من الاشتراك في عشاء الرب، ومن الصلاة مع المؤمنين، بل ومن التعامل معهم أيضاً. ولم يكن الغرض من هذا التأديب وقتئذٍ جلب الغفران من الله إلى المخطئ، بل تهيئته للعودة إلى الصلة الروحية مع الله في السماء، ومع الكنيسة على الأرض.

(ج) وبعد ذلك، احتكر بعض الأساقفة لأنفسهم أمر الحكم بالتأديب، كما تطرفوا فيه كثيراً، فإذا كان المخطئ أعزب، كانوا يأمرونه بالامتناع عن الزواج. وإذا كان متزوجاً، كانوا يأمرونه بعدم المعاشرة الزوجية أو بالانزواء في دير، حتى يأذنوا له بالعودة إلى بيته. ولذلك كان كثيرون من الذين يُخطئون، يؤجّلون الاعتراف بخطاياهم حتى ساعة الانتقال إلى العالم الآخر، ولما علم أوغسطينوس بذلك، نصح المؤمنين بوجوب الاعتراف بخطاياهم على الأقل مرة كل عام، حتى يكون لهم نصيب في الحياة الأبدية.

وعلى الرغم من هذا النصح، كان كثيرون يحجمون عن الاعتراف بخطاياهم خشية الفضيحة والعار؛ ولذلك صدرت قرارات باباوية في القرن الخامس بأن الاعتراف يجب أن يكون سرياً أمام الأساقفة والقسوس وحدهم. كما صدرت قرارات باباوية أخرى لهؤلاء وأولئك تحرّم عليهم إفشاء سرّ المعترفين. ومن ثم دعي الاعتراف "سراً" بمعنى أمر يجب عدم ذكره أمام الغير ... وكان أول من دعاه بهذا الاسم هو البابا "ليو الأول" سنة ٤٥٩م. وبعد ذلك أمر هذا البابا أن يعطي الأساقفةُ للمعترفين وثيقةً تدلّ

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

على حصولهم على الغفران من الله، حتى تطمئن قلوبهم ولا تقوم دعوى من أحد ضدّهم بسبب الخطايا التي فعلوها، فكانت هذه الوثيقة نواة صكوك الغفران، التي ظهرت فيما بعد.

(د) ولكن نظراً لأن الأساقفة لم يكونوا قد أعلنوا بعد أن لهم سلطاناً لغفران الخطايا، كان معظم المسيحيين لغاية القرن الخامس يكتفون بالاعتراف بخطاياهم أمام الله دون سواه، وكان كل ما يفعله الأساقفة وقتئذٍ، هو وعظ المعترف وفرض التأديب المناسب عليه، وذلك لأجل إصلاحه وإبعاده عن الخطية كما كانوا يعتقدون. وإذا نفّذ التأديب المذكور، كانوا يعلنون له أن الله غفر له وصفح عنه. إذ كانوا يقولون للمعترف "الله الضابط الكل يرحمك ويغفر خطاياك".

(هـ) وفي القرن السادس حدثت ثلاث مباحثات خطيرة بين الأساقفة من جهة الموضوعات الآتية: (الأول) هل الاعتراف يكون لله أم لهم ؟ فاستقرّ الرأي على أنه يكون لهم، لأنهم هم الذين يقدّمون العشاء الرباني للمعترفين. (الثاني) وهل الغرض من التأديب الذي يفرضونه، هو الإصلاح أم التكفير؟ فاستقرّ الرأي على أنه للتكفير، وأنه بدون تنفيذ المخطئ للتأديب لا تغفر له خطيته[٣٨]. (الثالث) وهل تقصر سلطتهم

---

[٣٨] – وقد أغنانا عن الردّ على هذا الاعتقاد الخاطئ الأرثوذكسي المشهور حبيب جرجس. فقد قال "من الذي يقدر أن يخلّصنا ويفي بالعدل الإلهي حقوقه، هل دم يسوع المسيح أم التأديب؟ لا لعمري. فإنه لو سفك جميع البشر دماءهم، لما أمكنهم وفاء جزء من حقوق الله"، كما قال "إن التوبة والبكاء والصوم والصدقة هي من علامات الإيمان الحقيقي بالله والانسحاق القلبي أمامه، والابتعاد عن الخطية أيضاً، لكنها لا تفي حقوق عدالة الله غير المحدودة" (أسرار الكنيسة السبعة ص ١٤٦–١٤٨).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

على غفران الصغائر من الخطايا، أم تشمل الكبائر أيضاً، مثل الارتداد والزنا والقتل؟ فاستقرّ الرأي على أن لهم السلطة على غفران الصغائر والكبائر أيضاً، إذا نفّذ الـذين ارتكبوها التأديب الذي يفرض عليهم. ولذلك كان كل واحد منهم يقول للمعتـرف "إني أحلّك من خطاياك" أو "كن محلولاً منها من فم الله ومن فمي[٣٩]". فثـار بعـض المؤمنين الحقيقيين وقتئذٍ ضدّ الأساقفة المذكورين وأنكروا عليهم هذا السلطان، لكـن البعض الآخر من المؤمنين أذعن لهم وانقاد لآرائهم، خوفاً من غضبهم أو سخطهم، كما يقال.

(و) واستمرّت الحال على هذا المنوال حتى جاء أينوسنت بابا روما في القرن الثالث عشر، فقرّر أن الاعتراف يجب أن يكون إجبارياً لا اختيارياً، كمـا قـرر أن الأساقفة هم نواب الله على الأرض (ليس بمعنى وجوب سلوكهم بالكمال وعمل الخير نحو جميع الناس، كما يتّضح من الكتاب المقدّس، بل بمعنى حصولهم علـى مقـام الله وسلطانه)، ومن ثم أعلن أن لهم في منح الغفران للذين يعترفون بخطاياهم، فوجد قراره هذا أنصاراً كثيرين، وذلك بسبب تفشّي الجهل بكلمة الله بينهم. وفي سـنة ١٥٥٠م التأم المجمع التريدينتي فقرّر، فيما قرره من أمور، أن الاعتراف سرّ من الأسرار الإلهية،

---

[٣٩] – مما تجدر الإشارة إليه أن الكهنة الطقسيين مع قولهم في القداس الغريغوري أن الله أعطاهم سلطان الحل والربط، يصلّون في هذا القداس وفي غيره من القداسات قائلين لله "أنعم لنا (أي نحن والـشعب معاً) بغفران خطايانا، طهّرنا، حاللنا وحالل سائر شعبك"، الأمر الذي يدل على أنهم يعتقدون بينـهم وبين أنفسهم أن سلطان مغفرة الخطايا ليس في أيديهم، بل في يد الله دون سواه.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

بمعنى عمل منظور ينال القائم به بركة غير منظورة ــ وهذا التعريف هو المعروف لدى الأرثوذكس والكاثوليك لغاية الوقت الحاضر.

أخيراً نقول: "وإن كان الاعتراف بالخطية أمام الأساقفة والقسوس، لكي يحلّوا المعترفين لهم من خطاياهم" دخيل على المسيحية كما رأينا، لكن من الجائز، بل ومن النافع أيضاً، أن نذكر لبعض أخوتنا المتقدّمين في حياة التقوى والإيمان ما نحسّ به من ضعف روحي، وما يصدر منا من أخطاء بسببه، لكي نفيد من اختباراتهم ونصائحهم. ولكي يصلّوا أيضاً معنا ولأجلنا حتى ننال قوة من الله تنصرنا على ضعفنا وخطايانا. غير أن هذا العمل لا يدعى اعترافاً بالخطية لهم، وليس الغرض منه الحصول على غفران منهم أو بواسطتهم على الإطلاق.

ومع كل أرى من الأمانة للحق أن أشير في خاتمة هذا الفصل إلى قسيس مشهور في الكنيسة الأرثوذكسية. كنت عندما أذهب للاعتراف أمامه في المدة من سنة ١٩٢٥– سنة ١٩٣٢ (وهي المدة التي كنت متأثّراً فيها بالتقاليد كل التأثّر)، كان يأبى أن يسمع شيئاً عن خطاياي، إذ كان يبادرني بالقول "دعنا نصلّي"، فنركع معاً ويصلّي من أجلي ... وبذلك كنت أقضي معه فرصة طيبة، أقوم بعدها حاصلاً على بركة ليست بالقليلة.

٢

الفرق بين الغفران العام والغفران الخاص

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يظن بعض المؤمنين [أنه نظراً لأن الله غفر لهم كل خطاياهم بناء على كفاية كفارة المسيح، وذلك عندما آمنوا به إيماناً حقيقياً (أعمال ١٠: ٤٣، ٢٦: ٢٨)، فليس هناك داعٍ للاعتراف لله بالخطايا التي يأتونها بعد الإيمان، لكي ينالوا غفراناً آخر]، ولكن هذا الظن لا نصيب له من الصواب ؛ فقد قال الرسول للمؤمنين الحقيقيين "إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا، ويطهّرنا كم كل إثم" (١يوحنا ١: ٢٩). ولإيضاح الخطأ الكامن في الظن الذي نحن بصدده نقول:

١- حقاً إن كفارة المسيح وفت كل مطالب العدل الإلهي من جهة المؤمنين الحقيقيين إلى الأبد، أو بالحري كفرت عن نفوس هؤلاء المؤمنين تكفيراً كاملاً. ولما كانت النفس لا تتجزّأ، يكون المسيح قد كفّر عما عملته أو تعمله أو سوف تعمله نفوسهم من خطايا [٤٠] ذلك لأن نفس المسيح التي قدّمها كفارةً على الصليب. هي أغلى من نفوس البشر جميعاً، حتى لو تضاعفت عددهم ملايين المرات، إذ بالإضافة إلى كمالها المطلق فهي متّحدة باللاهوت. واللاّهوت (إن جاز تقدير قيمته) هو أغلى بما لا يقاس من كل ما في الكون بأسره من كائنات. ومن ثم قال الوحي عن المسيح إنه دخل بدم نفسه إلى الأقداس السماوية فوجد فداء، ليس لفترة خاصة من الزمن، بل إلى الأبد

---

[٤٠] – أما الدعوى (بأن هذا القربان يشجّع المؤمنين الحقيقيين على عمل الخطية) فلا مجال لها على الإطلاق، لأن هؤلاء المؤمنين، كما ذكرنا فيما سلف، ولدوا ثانيةً من الله وأصبحوا شركاء في طبيعته الأدبية (٢بطرس ١:و ٣)، ومن ثم فإنهم يكرهون الخطية ويهربون منها. وإن حدث وسقطوا فيها مرة لا يطيقون البقاء فيها لحظة، بل يسرعون بالاعتراف بها أمام الله بقلب منكسر ندماً عليها، وبروح منسحقة تائبة عنها، وبتضرّع حار لكي يعود بهم إلى حياة القداسة التي كانوا عليها من قبل.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الذي لا نهاية له (عبرانيين ٩: ١٢). وبناءً على هذا الفداء لا تغفر لهؤلاء المؤمنين كل خطاياهم فحسب (عبرانيين ٨: ١٢)، بل يحسبون أيضاً أطهاراً (١يوحنا ١: ٧) وأبراراً (رومية ٥: ١)، وأولاداً لله (١يوحنا ٣: ١)، ومسكناً للروح القدس (١كورنثوس ٦: ١٩)، كما تكون لهم الحياة الأبدية (يوحنا ٣: ١٦)، ولا يأتون إلى دينونة على الإطلاق (يوحنا ٥: ٢٤).

٢- أما الغفران الذي منحه الله لهؤلاء المؤمنين عندما يعترفون بخطية يأتونها بعد الإيمان، فهو عن هذه الخطية وحدها. والغرض منه ليس إعادة صيرورتهم أولاداً لله [لأن ولادتهم منه لا تحدث إلاّ مرة واحدة]، ولا إعادة لإعطائهم الروح القدس [لأن هذا الروح وإن كان يحزن بسبب سوء تصرّفهم (أفسس ٤: ٣٠)، لكن لا ينزع منهم (رومية ١١: ٢٩)] لأنه هبة من الله لهم. ولا إعادة تطهيرهم أو تبريرهم بالدم الكريم [لأن التطهير والتبرير المذكورين يمنحان لهم مرة واحدة عند الإيمان الحقيقي بالمسيح (أعمال ١٥: ٩، رومية ٨: ٣٠)]. ولا إعادة منحهم الحياة الأبدية [لأن هذه الحياة مضمونة لهم إلى الأبد (يوحنا ٣: ١٦)]. ولا لكي لا يتعرّضوا للدينونة [لأنهم بمجرّد إيمانهم إيماناً حقيقياً قد انتقلوا من الموت إلى الحياة (يوحنا ٥: ٢٤)] ــ وكل ذلك بفضل كفارة المسيح الدائمة الأثر، لأن هذه الكفارة مرتبطة بالمسيح الدائم إلى الأبد بكامل مجده وجلاله. بل الغرض من الغفران المذكور هو رفع ثقل الخطية التي فعلوها عن ضمائرهم (٢كورنثوس ٢: ٥ ــ ١١)، حتى يستطيعوا العودة إلى التمتّع بالشركة الروحية مع الله، والقيام بعبادته وخدمته في الوقت الحاضر كما كانوا يفعلون من قبل.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

فنحن وإن كان لنا بفضل كفارة المسيح غفران كامل إلى الأبـــد، لكـــن إن سقطنا في خطية ما بعد الإيمان، لا نكون مهيّئين للتمتّع بالعبادة والخدمة كما كنا نتمتّع بهما، قبل السقوط في هذه الخطية. ونظل على هذه الحال من العجز، مع ما يلازمها من تعاسة، حتى ندنو من الله بتذلل وانسحاق معترفين بهذه الخطية أمامه، وعازمين من كل قلوبنا على عدم العودة إليها. فيردّ الربّ نفوسنا إليه، ويعود بنا إلى العلاقة الطيبة التي كانت لنا معه فيما سلف كما ذكرنا (مزمور ٢٣: ٣).

٣- ومما تجدر ملاحظته أن الاعتراف بالخطية ليس هو مجرّد طلب الغفـــران عنها، بل إنه كشفها كما هي أمام الله. فيقول المعترف في حضرته تعالى وهو في حالـــة الوعي الروحي، إنه بكل أسف (مثلاً) أهمل التغذي بأقواله، والانقياد في الحياة بروحه، أو أنه أحبّ العالم وسار وراءه، أو أنه لم يكن مدققاً في أفكاره وأقواله، ومن ثم ارتكب خطية الكذب أو الرياء أو الغش، أو النجاسة أو السرقة أو ... أو ... ذلك لأن الله وإن كان لا يحتاج إلى نكشف له عن خطايانا، لأنه يرى الظاهرة والباطنة منها، لكنه يريد أن نقرّ نحن أمامه بكل خطأ نقع فيه، كشيء نمقته ونعزم من كل قلوبنا على الإقلاع عنه، حتى يكون رجوعنا للتوافق معه تعالى هو بمحض رغبتنا وإرادتنا، إذ أنـــه لا يريـــد أن نعترف بخطايانا لكي نحصل فقط على الصفح عنها، بل لكي نهذّب نفوســـنا ونـــصلح إعوجاجها ـــ والحق ما أحوجنا جميعاً أن نتعلّم كيف نقرّ بالخطايا التي نقع فيها إقـــراراً يرى الربّ فيه حزننا العميق على صدورها منا، كما يرى فيه شوقنا الحارّ للسير بكـــل قداسة أمامه. وإن الدموع التي تنهمر من عيوننا ونحن نقرّ بهذه الخطايا، ليقدّرها الرب

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

تقديراً عظيماً، إذ أنها تحرّك عواطفه وهو جالس على عرشه شفيعاً لنا، لكي ينهضنا من عثارنا ويردّ لنا حياة الشركة الطيبة معه.

٤- لكن يجب أن لا يغيب عنا أن الاعتراف وإن كان مذلاً للنفس، غير أنه ليس الثمن الذي عينه الله لغفران الخطية التي نقع فيها، بل هو فقط السبيل الذي يهيء نفوسنا للتمتّع به. لأن الثمن الوحيد للغفران في كل زمان ومكان، هو كفارة المسيح. وهذه الكفارة لا تزال محتفظة بقيمتها وستظلّ محتفظةً بها إلى الأبد أيضاً. وإذا كان الأمر كذلك، فإذا سقطنا في خطية بعد الإيمان، لا يستدعي الأمر أن نقدّم ذبيحةً ما، أو نطلب من أحد أن يقدّم هذه الذبيحة لأجلنا، بل أن نعترف فقط بخطيتنا أمام الله ونحن في حالة الإدراك الصادق بشناعتها، والرغبة الأكيدة في عدم العودة إلى مثلها، فنحظى للتو بالصفح والغفران، ونعود للتمتّع بالشركة الطيبة مع الله على أساس الكفارة المذكور.

فمثل المؤمنين الحقيقيين في حالة السقوط في الخطية، مثل أبناء بررة لأب محبّ رؤوف، فإنهم إذا أخطأوا، لا ينكر بنوّتهم له أو يطردهم من بيته، أو يحرمهم من الميراث الذي أعدّه لهم، بل يظهر فقط حزنه الشديد لسوء تصرّفهم، ويحرمهم من بعض الامتيازات التي كان يمتّعهم بها من قبل (مثل الترحيب بهم في حضرته، والتحدّث باللطف معهم) ــ وهذا ما يحزّ في نفوسهم ويؤلمهم كثيراً، لكن عندما يأتون إليه معترفين بقلوبهم بما صدر منهم من خطأ، ومتعهّدين بعدم العودة إليه مستقبلاً، يصفح عنهم ويقبلهم في حضرته، وبذلك يعودون للتمتّع به، كما كانوا يتمتّعون من قبل.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٥- أخيراً نقول: نظراً لكفاية كفارة المسيح وإيفائها لمطالب عدالة الله وقداسته إلى الأبد من جهتنا نحن المؤمنين، فإن الغفران الذي ناله بواسطة الاعتراف، لا يكون نابعاً من عطف الله ورحمته فحسب، بل ونابعاً أيضاً من عدالته وأمانته. فقد قال الوحي في الآية التي نحن بصددها إن "الله أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا". فهو أمين من جهة ذاك الذي مات على الصليب حاملاً دينونة خطايانا، وهو أيضاً عادل لأنه لا يطلب توقيع هذه الدينونة مرة أخرى علينا نحن المؤمنين ــ وهذا ما يؤكّد لنفوسنا بدليل قاطع أنه بمجرّد الاعتراف القلبي لله بخطايانا، يغفرها تعالى لنا ويعود بنا إلى حياة الشركة الروحية التي كانت لنا معه، وذلك بواسطة تظهيره إيانا بكلمته من كل إثم يكون في نفوسنا، لأنه ليس سبيل لهذه الشركة، إذا كانت هناك خطية واحدة في نفوسنا هذه.

مما تقدّم يتّضح لنا: (أولاً) أن المؤمن الحقيقي الذي يطلب من الله من يوم لآخر أن يغفر له خطية خاصة، يتجاهل هذه الآية الكريمة أو لا يعرف معناها. وهكذا الحال من جهة من يعترف بخطيته أمام رجال الدين، عوضاً عن الاعتراف أمام الله. ولذلك لا يمكن أن يحظى أحدهما بالسلام الإلهي الكامل.

(ثانياً) إن المؤمن الحقيقي باعترافه بالخطية أمام الله، لا يبغي خلاصاً من عقابها الأبدي (لأن المسيح حمل هذا العقاب نيابةً عنه على الصليب)، بل خلاصاً من الشعور بالإساءة التي وجهها إلى الله، ومن البؤس الذي حلّ بنفسه بسببها. وذلك حتى يستطيع أن يتعبّد الله ويقوم بخدمته كما كان يفعل من قبل. ومن ثم فإنه لا يستعيد باعترافه

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

مركزه بالنسبة إلى الله كأحد أولاده، بل يستعيد فقط التمتّع بمركزه هذا ــ لأنــه (أي المركز) ثابت كل الثبات، بفضل فعالية شفاعة المسيح المؤسسة على كفاية كفارتــه إلى الأبد. وذلك عندما تاب داود عن خطيته لم يقل للرب: ردّ لي خلاصك، بل قال لــه فقط "ردّ لي بهجة خلاصك" (مزمور ٥١: ١٢).

(ثالثاً) إن المؤمن بالاسم [٤١] الذي ليست له نية التوبة، وإن اعترف بخطايــاه وبكى لسقوطه فيها، لا غفران له على الإطلاق، لأن اعترافه في هذه الحالة يكون مثله مثل اعتراف فرعون أمام موسى وهرون (خروج ٦: ٢٧) واعتراف عخان أمام يشوع (يشوع ٧: ٢٠)، واعتراف شاول أمام صموئيل (١صموئيل ١٥: ٣٠)، واعتــراف يهوذا الإسخريوطي أمام رؤساء الكهنة (متى ٢٧: ٤)، فإنه لم يجد على أحدهم خــيراً ما.

البـاب الـسادس

الحجج الخاصة بالحل والربط، والردّ عليها

١

الحجج الخاصة بالحل والربط، والردّ عليها

[٤١] – المؤمن بالاسم فقط لا يكون دائماً شخصاً شريراً، بل قد يكون متديناً يقوم بكــل الفــرائض الدينية، ولكن مع ذلك لا يكون مولوداً من الله، ومن ثم لا يستطيع أن يحيا حياةً القداسة معــه. لأن التدين شيء والولادة من الله شيء آخر.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يجدر بنا ونحن في فاتحة هذا الفصل أن نوجّه نظر القرّاء إلى أن هناك فرقاً بين أمرين: (الأول) سلطان الرسل بإعلان غفران الخطايا أو إمساكها من الناحية الأبدية. و(الثاني) سلطانهم المعجزي بإمساك الخطايا من الناحية الزمنية، بتوقيع عقوبة بدنية بواسطة أمر يصدر منهم، أو بغفران هذه الخطايا لكي ترفع العقوبة المذكورة، بواسطة أمر غيره.

فإعلان الغفران في الحالة الأولى هو النتيجة الملازمة لتوبة الخاطئ، وإيمانه بالمسيح إيماناً حقيقياً. والإمساك في هذه الحالة هو النتيجة الملازمة لرفضه القيام بهذين العملين الهامين ــ وهذا الإعلان بالغفران والإمساك لا يحتاج بعد الرسل إلى خلفاء لكي يقوموا به، لأن الرسل سجلوا الإعلان المذكور بالوحي الإلهي في الإنجيل بكل وضوح وجلاء. فقد قالوا إن كل من يتوب ويؤمن بالمسيح إيماناً حقيقياً (عن طريق قراءة الكتاب المقدّس أو نبذة دينية، أو عن طريق سماع عظة من أي كارز أو واعظ) يتمتّع في الحال بالخلاص الأبدي، والعكس بالعكس (مرقس ١: ١٥).

أما الغرض من الإمساك في الحالة الثانية، فهو تأديب المؤمن الذي يرتكب في العالم الحاضر خطية، رأى الرسل أنه يستحق بسببها التأديب بمرض أو غيره، وذلك حتى يتوب عنها ويعود إلى الرب. والغرض من الغفران في هذه الحالة، هو رفع التأديب عن المؤمن المذكور عند توبته، وإعادته إلى العلاقة التي كانت له من قبل مع المؤمنين. وإجراء هذا التأديب بطريقة معجزية كان وقفاً على الرسل، لأن الله أعطاهم عمل المعجزات للدلالة على أنه هو الذي أرسلهم لإذاعة الإنجيل، والحقائق المتعلّقة به. لكن

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الإمساك والغفران المذكورين لا يسندان في الوقت الحاضر، حتى مع خلوهما من القوة المعجزية، إلى شخص بمفرده، بل إلى الكنيسة (أو بالحري إلى جماعة المؤمنين الحقيقيين مجتمعين معاً)، فهي وحدها التي تقرر عزل المخطئ من بينها، وهي التي تقرر أيضاً إعادته إلى الشركة معها، إذا تاب عن خطيته. وفيما يلي حجج المعارضين لهذا الحق، مصحوبة بالردّ عليها:

١- [إن المسيح قال لبطرس: "أعطيك مفاتيح[٤٢] ملكوت السموات" (متى ١٦: ١٩). وهذا دليل على أن المسيح أعطاه السلطة ليفتح السماء أو يغلقها أمام الناس. ومن ثم يجب أن يكون له خلفاء لكي يقوموا بهذه المهمة الخطيرة في كل العصور].

الرد: فضلاً عن أنه ليس هناك دليل كتابي على أن المسيح أوصى رسله بانتخاب خلفاء لهم كما ذكرنا، وفضلاً عن أن المسيح أعطى بطرس أن يفتح ملكوت السموات، لا أن يفتحه ويغلقه، كما جاء في التعليق الذي أورده صاحب الحجة التي أمامنا، الأمر الذي يدلّ على عدم تدقيقه في الاقتباس من أقوال الله، وبالتالي على عدم جواز الأخذ بحجته، نقول:

---

[٤٢] – مما تجدر الإشارة إليه أن رؤساء اليهود كانوا يعطون الناموسيين مفتاحاً من المعدن عند تعيينهم في مراكزهم الدينية، يطلق عليه "مفتاح المعرفة "، ليكون رمزاً إلى أنه أصبح لهم حق التعليم أو الإرشاد (لوقا ١١: ١١). أما المفاتيح المذكورة أعلاه، فليست مادية بل معنوية.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(أ) إن المراد بهذه الآية ليس أن المسيح أعطى بطرس امتياز فتح[٤٣] السماء أمام الناس كما يقال، لأن ملكوت السموات ليس هو السماء، بل هو دائرة الإيمان بالمسيح بصفة عامة على الأرض. والدليل على ذلك أن هذا الملكوت كما يتَضح (متى ١٣: ٢٤-٥٠، ٢٥: ١-١٣)، يوجد به مؤمنون حقيقيون لهم حياة أبدية، كما يوجد به مؤمنون بالاسم فقط مصيرهم العذاب الأبدي، بينما السماء ليس بها إلاّ المؤمنون الحقيقيون الذين لهم حياة أبدية، وإذا كان الأمر كذلك، أدركنا أن الغرض من فتح ملكوت السموات، هو فتح باب الإيمان بالمسيح على الأرض أمام جميع الناس دون استثناء.

(ب) ولذلك إذا رجعنا إلى الكتاب المقدّس، نرى أن بطرس هو الرسول الذي استخدمه الروح القدس للقيام بهذا العمل في أول الأمر، ففي يوم الخمسين خاطب اليهود الذين صلبوا المسيح، عن قيامته من بين الأموات، وصعوده بعد ذلك إلى السماء. فنخسوا في قلوبهم وقالوا له لوسائر الرسل: "ماذا نصنع أيها الرجال الأخوة ؟ "فقال لهم بطرس "توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران

---

٤٣ – إن المسيح لم يعطِ بطرس هذا الامتياز، لأنه كان أفضل من غيره من الرسل، بل لأنه (عن طريق الإعلان الشخصي الذي تلقاه من الآب) كان أول من اعترف ملهماً بالإيمان الحقيقي من جهة لاهوت المسيح. ومن ثم أعطاه المسيح امتيازاً أن يكون ه
و أول من يعلن للناس هذا الإيمان (متى ١٦: ١٦). لكن بطرس في ذاته كان شخصاً ضعيفاً إذ أخطأ خطيئةً شنيعة بسبب اعتداده بذاته (متى ٢٦: ٢١-٢٤).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الخطايا، فتقبلوا عطية الروح القدس". فقبلوا كلامه بفرح، وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف شخص (أعمال ٢٠: ٣٧-٤٦).

(ج) وبناءً على رؤيا خاصة من الله، ذهب بطرس أيضاً بعد ذلك إلى كرنيليوس وأنسبائه ــ وكانوا جميعاً من الأمم الذين لم يكن لواحد من اليهود أن يتّصل بهم وقتئذٍ، خشية أن يعتبر نجساً، وذلك بسبب انحراف الأمم عن الله وعبادتهم للأوثان وقتئذٍ ــ وبينما كان بطرس يكرز لهم بالإنجيل، حلّ الروح القدس عليهم، للدلالة على أنهم آمنوا بالمسيح إيماناً حقيقياً ونالوا الحياة الأبدية (أعمال ١٠: ٢٤-٤٢)، وذلك على النقيض مما كان اليهود يتوقعون أو يعتقدون. وقد أشار هذا الرسول مرة لليهود إلى أحقية قيامه بفتح باب الإيمان للأمم، كما فتحه لهم (أي لليهود) من قبل، فقال لهم "أيها الرجال الإخوة، أنتم تعلمون أنه منذ أيام اختار الله بيننا أنه بفمي يسمع الأمم كلمة الإنجيل ويؤمنون" (أعمال ١٥: ٧). ومذ فتح بطرس باب الخلاص أمام اليهود والأمم (أو بالحري أمام جميع الناس دون استثناء) بإرشاد الله كما ذكرنا، لا يزال هذا الباب مفتوحاً. وما على الذين يريدون التمتّع بالخلاص من أي جنس من الأجناس، إلاّ أن يؤمنوا بالمسيح إيماناً حقيقياً.

وإذا كان الأمر كذلك، فلا مجال للقول بأن حق الدخول إلى السماء، هو في يد بطرس وخلفائه، إن كان له خلفاء.

٢- [إن المسيح أعطى الرسل سلطاناً لمغفرة الخطايا وإمساكها. فقد قال لهم "اقبلوا الروح القدس، من غفرتم خطاياه، تغفر له. ومن أمسكتم خطاياه، أمسكت"

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(يوحنا ٢٠: ٢٢). ومن ثم يجب أن يكون هناك خلفاء لهم طوال وجودنا على الأرض، حتى نحصل منهم على الصفح والغفران].

الرد: (أ) فضلاً عن أنه ليس هناك مجال للخلافة الرسولية كما ذكرنا، نقول: إن الغفران الذي يؤدي إلى خلاص النفس إلى الأبد، وعدم الغفران الذي يؤدي إلى هلاكها إلى الأبد، هما من حق الله دون سواه. فمن جهة هذا الغفران، مكتوب عن الله أنه "يغفر الإثم ولا يهلك" (مزمور ٧٨: ٣٨). وأنه "يغفر لنا خطايانا" (١يوحنا ١: ٩). ومن جهة عدم الغفران المذكور، مكتوب عن الله: أنه لم يغفر ذبوب الذين تركوه وعبدوا الأوثان، والذين سفكوا الدماء البريئة (يشوع ٢٤: ١٩، ٢ملوك ٢٤: ٤). ومن ثم فالآية الواردة في الحجة التي أمامنا، لا يقصد بها أن المسيح أعطى الرسل سلطانه الشخصي من جهة مغفرة الخطايا للخلاص الأبدي، أو عدم مغفرتها للهلاك الأبدي.

ومما يثبت ذلك أيضاً أننا إذا رجعنا إلى الكتاب المقدّس. لا نرى واحداً من الرسل قال مرةً لإنسان ما: "مغفورة لك خطاياك "، كما كان المسيح يقول من قبل (مرقس ٢: ٥). بل كانوا جميعاً يوجهون أنظار الخطاة إلى الله، لكي يحصلوا منه مباشرةً على الغفران الذي يحتاجون إليه. فبطرس الرسول (مثلاً) عندما اكتشف خطية سيمون الساحر قال له: "فتب عن شرك هذا، واطلب إلى الله عسى أن يغفر لك فكر قلبك" (أعمال ٨: ٢٢). وإذا كان الأمر كذلك، أدركنا أن المسيح بإعطائه هذا السلطان للرسل، لم يتنازل لهم عن حقه الشخصي في مغفرة الخطايا للخلاص الأبدي، أو إمساكها للهلاك الأبدي، حتى يصبحوا هم الواسطة التي يلجأ إليها الناس للحصول

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

على الغفران، بل خوّلهم فقط حقّ إرشاد الناس إلى وجوب التوبة القلبية والإيمان بشخصه إيماناً حقيقياً، حتى يغفر الله لهم خطاياهم. فإذا لم يقوموا بهذين العملين الهامين، أنذروهم بأنه تعالى لا يغفر لهم خطاياهم، أو بالحري يمسكها ويبقيها عليهم.

(ب) أما السبب في إعطاء المسيح لرسله سلطان غفران الخطايا وإمساكها بالمعنى الذي ذكرناه، فيرجع إلى أمرين (الأول) إن الإنجيل الذي يعلن السبيل إلى غفران الخطايا أو إمساكها، لم يكن قد كتب بعد. (الثاني) إن الروح القدس العامل في نفوس الرسل (والذي كان المسيح قد طلب منهم أن يقبلوه قبيل إعطائهم التفويض الخاص بإعلان غفران الخطايا وإمساكها) هو الذي كان يحلّ محل الإنجيل وقتئذٍ. ومن ثم كان الرسل وقتئذٍ هم الواسطة الإلهية الوحيدة، التي يعرف الناس عن طريقها السبيل إلى غفران الله للخطايا أو إمساكها.

وكان من الواجب على جميع الناس أن يصغوا إلى تعليمهم وينفّذوه بكل دقة وإخلاص، بوصفه وحي الله نفسه. لكن الآن، وقد كتب الإنجيل ووصل إلى أيدينا كاملاً (٢تيموثاوس ٣: ١٦و١٧)، فلسنا في حاجة بعد (ما دمنا نستطيع أن نقرأ أو نسمع) إلى إنسان ما مهما كان مركزه الديني، لكي يعلن لنا أن خطايانا قد غفرت أو أمسكت. إذ يمكننا أن نعرف كل شيء عن هذا الموضوع من الإنجيل مباشرةً. فإذا تاب أحدنا وآمن بالمسيح إيماناً حقيقياً تغفر له خطاياه، وإلاّ فلن تغفر له، حتى إذا أكّد له رجال الدين جميعاً لسبب ما، إنها تغفر.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(ج) فالرسل كانوا يستعملون سلطانهم في إعلان غفران الخطايا أو إمساكها، ليس حسب آرائهم الشخصية (كما يفعل الذين يسندون إلى أنفسهم هذا السلطان في الوقت الحاضر)، بل حسب مشيئة الله وحدها. فبولس مثلاً، كرسول ونبي، على بوحي الروح القدس أن الله يمكن أن يغفر لمن أساؤوا إليه (أي إلى بولس) شخصياً، ولكن لا يمكن أن يغفر لمن قاوموا الإنجيل. ولذلك طلب من الله أن لا يحسب للذين تركوه عند محاكمته، خطية عدم تعاونهم معه. أما الذين قاوموا الإنجيل فطلب من الله أن يجازيهم حسب أعمالهم (٢تيموثاوس ٤: ١٤-١٦، ١ تيموثاوس ١: ٢٠[٤٤])، وذلك لأنهم كانوا يحرمون الكثيرين من خلال الله، وبالتالي كانوا يعملون على إهلاكهم إلى الأبد.

٣- [إن المسيح قال للرسل: "الحق أقول لكم "كل ما تربطونه على الأرض، يكون مربوطاً في السماء. وكل ما تحلونه على الأرض، يكون محلولاً في السماء" (متى ١٨: ١٨). ومن ثم يجب أن يكون لهم خلفاء للقيام بهذه المهمة الخطيرة إلى نهاية الدهر .[

الرد: فضلاً عن أنه ليس هناك مجال للخلافة الرسولية كما ذكرنا، نقول: إن هذه الآية لا يراد بها أيضاً أن المسيح أعطى الرسل سلطانه الشخصي من جهة غفران الخطايا للخلاص الأبدي أو عدم غفرانها للهلاك الأبدي كما يقال، لأن هذا السلطان في يده دون سواه كما ذكرنا. بل يراد بها (وبالآية التي وجهها المسيح إلى بطرس

[٤٤] – وطبعاً لم يكن هؤلاء مؤمنين حقيقيين.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الرسول في (متى ١٦: ١٩)]، أنه إذا ربط بطرس أو غيره من الرسل خطية إنسان على الأرض بتوقيع عقوبة بدنية عليه بطريقة معجزية لتأديبه، أو حلوه من خطيته بعد ذلك برفع هذه العقوبة عنه لتوبته، يصادق الله على تصرّفهم هذا في السماء.

ويرجع السبب في ذلك إلى أنهم يتصرّفون في كل كبيرة وصغيرة من أعمالهم، ليس حسب آرائهم الشخصية، بل حسب وحي الروح القدس الساكن فيهم والمالك عليهم. ومن ثم "فربط الخطية "الوارد ذكره في (متى ١٨:١٨)، لا يُراد به حرمان فاعلها من السماء (كما يقال)، بل حرمانه من الاتّصال بالمؤمنين والاشتراك معهم في العبادة، مع توقيع التأديب اللازم عليه، وذلك حتى يستفيق من غفلته ويعود إلى صوابه. و "الحل "يُراد به رفع هذا التأديب عنه إذا ندم على خطيته وتاب عنها، وإعادته بعد ذلك إلى مكانته بين المؤمنين التي كان يشغلها من قبل.

فمثلاً عندما سقط أحد المؤمنين في خطية شنيعة بسبب إهماله في الشركة مع الله، أسلمه بولس الرسول للشيطان لكي يهلك جسده بالأمراض تأديباً له (١كورنثوس ٥: ٣) ــ وهذا هو الربط الرسولي المعجزي للتأديب. ولم يكتفِ الرسول بذلك، بل أمر المؤمنين أن لا يُخالطوه على الإطلاق (١كورنثوس ٥: ١١) ــ وهذا هو الربط الكنسي العادي للتأديب الأدبي. لكن عندما حزن هذا الشخص حزناً مفرطاً بسبب خطيته، رفع الرسول التأديب عنه، كما أوصى المؤمنين أن يقبلوه في الشركة معهم (٢كورنثوس ٥: ٥-١١) ــ وهذا هو المراد بالحل.

(ب) و "سلطان الحل والربط "للتأديب الأدبي، لم يعطه الرب للرسل بصفتهم الشخصية، حتى كان من الجائز أن يُقال بوجوب وجود خلفاء لهم للقيام به، بل أعطاه

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

لهم بصفتهم أوائل المؤمنين الحقيقيين وقتئذٍ. فقد قال الرب لكل واحد من هؤلاء المؤمنين "وإن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه [٤٥] بينك وبينه وحدكما. إن سمع منك، فقد ربحت أخاك. وإن لم يسمع، فخذ معك واحداً أو اثنين، لكي تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة. وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة (أو بالحري من هؤلاء المؤمنين، فليكن عندك كالوثني والعشار (أي عليك أن تتجنّبه تماماً).. الحقّ أقول لكم إن كل ما تربطونه على الأرض، يكون مربوطاً في السماء. وكل ما تحلّونه على الأرض، يكون محلولاً في السماء [٤٦]" (متى ١٨: ٥-١٨).

---

[٤٥] – من هنا يتّضح لنا أنه ليس المسيء هو الذي يذهب إلى المساء إليه (كما يظنّ بعض الناس)، بل أن المساء إليه هو الذي يذهب إلى المسيء. ويرجع السبب في ذلك إلى أن المسيء يكون دائماً شخصاً ضعيفاً في حياته الروحية، وشخص مثله لا تكون له القدرة الأدبية على الذهاب إلى المساء إليه = = وطلب الصفح عنه. كما أن المطلوب من المساء إليه أن لا يوبّخ المسيء بل أن يعاتبه، وذلك بروح المحبة، لأن العتاب بهذه الروح، هو وحده الذي يقود المسيء للندم على إساءته والتوبة عنها.

[٤٦] – مما تجدر الإشارة إليه أنه جاء في صحيفة ٥٢٥ من كتاب "حياة المسيح" (تعريب الدكتور عقداوي الأرثوذكسي المشهور) أن سلطان الحل والربط يُراد به تخويل التلاميذ حق إصدار الأوامر والنواهي للمؤمنين ــ لكن وإن كان هذا الرأي يدحض الاعتقاد الأرثوذكسي (بأن الرسل كان لهم سلطان فتح باب السماء أمام بعض الناس، وإغلاقه أمام البعض الآخر) الوارد في الحجة التي نحن بصددها، غير أننا لا نقرّ مؤلف الكتاب المذكور على رأيه هذا. لأن المسيح كما أعطى سلطان الحل والربط للرسل (متى ١٦: ١٩) أعطاه أيضاً للكنيسة، ــ أو بالحري لجماعة المؤمنين الحقيقيين (متى ١٨: ١٥-١٨) ــ وهؤلاء المؤمنون، مهما كان مقامهم، ليست لهم سلطة التشريع (أي سلطة إصدار الأوامر والنواهي الدينية)، إذ أنهم جميعاً يجب عليهم التقيّد بما أعطاه الله لهم في الكتاب المقدس

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

فضلاً عن ذلك فإن الرسل لم يقوموا أحياناً باستعمال سلطان الحلّ والربط، حتى من الناحية المعجزية، بمعزل عن المؤمنين، بل بحضورهم، فمثلاً عندما سقط الشخص السابق ذكره في خطيته الشنيعة، قال بولس الرسول لأهل كورنثوس "قد حكمت ... باسم ربنا يسوع، إذ أنتم وروحي مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح: أن يسلّم مثل هذا الشخص للشيطان لهلاك الجسد، لكي تخلص الروح في يوم الربّ يسوع"[٤٧] (١كورنثوس ٥: ٣-٥). ثم قال عن التأديب الأدبي الذي يجب عليهم القيام به

عن هذه وتلك، دون أن يزيدوا عليها أو يحذفوا منها (رؤيا ٢٢: ١٨-١٩). أما سلطة التشريع، فكانت من اختصاص الرسل والأنبياء وحدهم، بسبب المواهب الخاصة التي أعطاها الله لهم. وقد قاموا بالتشريع اللازم إلى التمام، قبل أن ينتقلوا من العالم، ليس بواسطة سلطان الحل والربط، بل بواسطة وحي الروح القدس لهم. ثم سجلوه بعد ذلك كما هو في البشائر، فصار هو الكتاب المقدس الذي بين أيدينا (٢تيموثاوس ٣: ١٧).

[٤٧] – ولا غرابة في ذلك، فإن هذا الشخص على الرغم من الخطية الشنيعة التي سقط فيها، كان مثل داود النبي، مؤمناً حقيقياً. والمؤمن الحقيقي لا يُدان في اليوم الأخير (يوحنا ٥: ٢٤) لأن الدينونة التي يستحقها قد قبلها المسيح في نفسه على الصليب نيابةً عنه، ولما كان العدل الإلهي لا يطالب بحقه مرتين، لذلك لا يعود يطالب به المؤمن الحقيقي. وطبعاً لا يُراد بذلك فتح المجال أمام أي مؤمن حقيقي لعمل الخطية، لأن هذا المؤمن يجب ألاّ يُخطئ على الإطلاق (١يوحنا ٢: ١)، إذ فضلاً عن أن لديه المؤهلات الكافية للنصرة على الخطية (٢بطرس ١: ٣)، فإنه بالسقوط فيها يُسيء إلى الله، كما يحرم نفسه من التمتّع به. فضلاً عن لك يعرض نفسه للتأديب الإلهي، وخيف هو الوقوع في يدي الله (عبرانيين ١٠: ٣١) لأنه في تأديبه مثل نار آكلة (عبرانيين ١٢: ٢٩).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"اعزلوا الخبيث من بينكم" ([٤٨]) (ع١٣) ــ وهذا هو ما كان يفعله كهنة اليهود قديماً (الذين كانوا رمزاً إلى المؤمنين الحقيقيين في العهد الجديد)، مع المصابين بالأمراض الخطيرة (التي كانت رمزاً إلى الخطية في شناعتها)، إذ كانوا يعزلون من تظهر عليهم أعراض البرص، ولا يسمحون لهم بالدخول إلى المحلّة إلاّ بعد زوال هذه الأعراض عنهم (لاويين ١٣-١٤).

(ج) وفي العهد الجديد أمثلة متعددة للتأديب المعجزي، بواسطة كلمة نافذة تخرج من فم الرسل. فعندما قاوم أحد السحرة إنجيل الله، قال له بولس الرسول: "لأن

---

[٤٨] – وقبل قيام المؤمنين بهذا العمل، يجب أن يُحاولوا إصلاح المخطئ بروح الوداعة (غلاطية ٦: ١) مرة ومرتين (تيطس ٣: ١٠). فإن أصرّ بعد ذلك على الاستمرار في خطيته، اجتمعوا باسم الرب لينظروا في أمره بدون محاباة (يعقوب ٢: ١٠) ــ واجتماع مثل هذا له خطورته، إذ أنه يتطلّب منهم أن يكونوا تحت تأثير الربّ دون سواه. كما يجب أن يضعوا أمام عيونهم وقتئذٍ (أولاً) أنهم أنفسهم معرّضون للخطأ مثل هذا الشخص (غلاطية ٦: ١)، حتى لا يكونوا مغالين في حكمهم عليه (ثانياً) أن لا يكون بناء على إشاعة بلغتهم بل بناءً على شهود عيان يوثق بشهادتهم (ثالثاً) أن يصدروا الحكم ليس بروح الانتقام الصارمة بل بروح الأخوة التي تفيض بالحسرة والأسى على المخطئ، وبالرغبة الصادقة في إصلاحه. ومن أنواع التأديب (أولاً) توجيه الإنذار لمن يسلك بدون ترتيب، أو بالحري لمن يرفض العمل لكسب العيش، اعتماداً على ما يتلقاه من معونة من المؤمنين (١تسالونيكي٥: ١٤) ثم تجنبه بعد ذلك إذا لم يرتدع (٢تسالونيكي ٣: ٦). و(ثانياً) تجنّب من يسبب الشقاق بين = = المؤمنين لاجتذاب فريق منهم وراءه (رومية ١٦: ١٧)، (ثالثاً) رفض من يعود إلى الابتداع بعد إنذاره مرة ومرتين (تيطس ٣: ١٠). (رابعاً) عزل الزاني والطماع والشتام والسكير عن الشركة مع الكنيسة (١كورنثوس ٥: ١١-١٣).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

هوذا يد الربّ عليك، فتكون أعمى لا تبصر الشمس إلى حين". وفي الحال سقط عليه ضباب وظلمة، وجعل يدور ملتمساً من يقوده (أعمال ١٣: ١١). وعندما جدّف هيمينايس والاسكندر أسلمهما هذا الرسول للشيطان لكي يؤدّبا (١تيموثاوس ١: ٢٠). وعندما قدم حنانيا وسفيرة لبطرس جزءاً من ثمن حقل باعاه، وادّعيا أنه الثمن كله، مختلسين لنفسيهما الجزء الآخر، ماتا في الحال أحدهما وراء الآخر (أعمال ٥: ١-١١).

والآن: بما أن الذين يسندون إلى أنفسهم في الوقت الحاضر، سلطان الرسل الشخصي من جهة الحل الربط، لا يستطيعون أن يبرهنوا على أحقيتهم فيه بأعمال معجزية كما كان يفعل الرسل، يكون إسنادهم هذا السلطان إلى أنفسهم، منقوضاً من أساسه.

٤- [إن سلطان الحل والربط بمعنى غفران الخطايا أو عدم غفرانها إلى الأبد، كان موجوداً في أيدي الأساقفة منذ القرن الثاني، ومن ثم يكونون قد تسلموه من الرسل أنفسهم.

الرد: هذه الحجة ليست بصواب، لأنه بالرجوع إلى التاريخ نرى [٤٩]:

(أ) إن سلطان الحل والربط، بمعنى رفع التأديب وتوقيعه، كان من الناحية المعجزية في يد الرسل وحدهم حتى نهاية حياتهم الأرضية، ومن الناحية الأدبية في يد

[٤٩] - عن ريحانة النفوس، ومختصر تاريخ الكنيسة لاندروملر، وتاريخ الكنيسة لموسهيم.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الكنيسة (أو بالحري جماعة المؤمنين الحقيقيين مجتمعين معاً) لغاية القرن الثالث. فكانوا هم الذين يحرمون المخطئ من الاشتراك في العشاء الرباني وولائم المحبة، وكانوا هم الذين يسمحون له بعد ذلك بالاشتراك معهم فيها، إذ تاب عن خطيته.

(ب) غير أن بعض الأساقفة أخذوا ابتداءً من القرن الرابع، في احتكار هذا السلطان لأنفسهم شيئاً فشيئاً، حتى تمّ لهم ذلك نهائياً في أوائل القرن السادس، بواسطة مجمع رومية سنة ٥٠٢م.

(ج) وبعد ذلك أخذ هؤلاء الأساقفة في توسيع دائرة هذا السلطان، حتى ادّعوا أن لهم حق القضاء باللعنة [٥٠] على المخطئين، وطردهم من الكنيسة والنطق بحرمانهم (كما يقال) من السماء أيضاً، فثار ضدهم كثير من المؤمنين الحقيقيين ووجهوا نظرهم إلى أن الحرمان من السماء، ليس في يد أحد من البشر، بل في يد المسيح وحده. لكن الأساقفة المذكورين لم يصغوا لأقوالهم.

(د) ولما أصبح لكنيسة روما سلطة مدنية بجانب السلطة الدينية في القرن التاسع، قرّرت أن تأمر بحرمانه، لا يعين في وظائف حكومية، ولا تقبل شهادته أمام المحاكم، ولا تعتمد وصيته الأخيرة. كما قررت أنه عندما يموت، يجب أن يدفن كما يدفن الحمار، أي دون القيام بمراسيم دينية له.

---

٥٠ – كما كان يفعل اللاويون إزاء الذين كانوا يعصون وصايا الله (تثنية ٢٧ و ٢٨).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(هـ) ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ، بل أخذ الأساقفة يستعملون سلطان الحرم، ليس ضدّ الذين لا ينفّذون الوصايا الكنسية فحسب، بل وضدّ الذين لا يقضون لهم حاجاتهم الشخصية أيضاً، الأمر الذي يدل على انحرافهم عن كلمة الله، وركضهم وراء مصالحهم الخاصة.

٢

الحجج الخاصة بالأسرار والتعليم، والرد عليها

١- [إن الرسل وحدهم هم وكلاء سرائر الله (١كورنثوس ٤: ١)، ومن ثم يجب أن يكون لهم خلفاء لكي يقوموا بها].

الرد: (أ) فضلاً عن أنه ليس هناك مجال للخلافة الرسولية كما ذكرنا، نقول: إن الأسرار أو السرائر ليست بركات غير منظورة تعطى بوسائل منظورة كما يقول بعض المسيحيين، لأنه ليس هناك مجال لاستنتاج هذا التعريف من الكتاب المقدس، بل هي، كما يتّضح من هذا الكتاب، حقائق كانت سراً عند الله (أو بالحري كانت معروفة لديه وحده أزلاً) ثم أعلنها للرسل بالوحي في العهد الجديد. وبعد ذلك قام الرسل بتسجيلها بالوحي أيضاً، لفائدة المسيحيين في كل البلاد والعصور، ومن ثم لم تعد أسراراً بالنسبة لهم. فقد قال الوحي (مثلاً) عن "سر المسيح": "الذي في أجيال أخر لم يعرف به بنو البشر، كما قد أعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه (في العهد الجديد) بالروح، أن

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الأمم شركاء في الميراث والجسد [٥١] ونوال موعده في المسيح بالإنجيل" (أفسس ٣: ٤-٥).

وعدا "سر المسيح" الذي ذكرناه، هناك أسرار أو سرائر أخرى نذكر منها: "سر الآب والمسيح" (كولوسي ٢: ٢-٩)، و "سر التقوى" (١تيموثاوس ٣: ١٦)، و "سر مشيئة الله" (أفسس ١: ٩)، و "سر المسيح والكنيسة" (أفسس ٢: ٣٢)، و "سر الإنجيل" (٦: ١٩)، و "سر الإيمان" (١تيموثاوس ٣: ٩)، و"سر اختطاف بعض المؤمنين إلى السماء دون أن يذوقوا الموت" (١كورنثوس ١٥: ١٥)، و "سر السبعة كواكب" (رؤيا ١: ٢٠)، أو بالحري الأخبار الخاصة بالكنيسة في كل أدوارها على الأرض، و"أسرار ملكوت السموات" الخاصة بتدبيرات الله السياسية من جهة ملكوته في العالم الحاضر (متى ١٣: ١١، مرقس ٤: ١١، لوقا ٨: ١٠)، و "سر دخول ملء الأمم، ورجوع الأتقياء من اليهود إلى الرب" (رومية ١١: ٢٥)، و "سر الإثم" (٢تسالونيكي ٢: ٧)، و "سر بابل العظيمة أم الزواني" (رؤيا ١٧: ٥) التي هي مصدر الوثنية أو الانحراف عن الله ــ وهذه الأسرار ليست لها شعائر أو طقوس، حتى كان يجوز الظن أنها تتطلب وجود أشخاص يمارسونها، بل إنها حقائق موحى بها تقبل كما هي بالإيمان، دون وساطة وسيط.

---

[٥١] – أي شركاء في جسد المسيح الروحي الذي هو الكنيسة، بعد أن كانوا منفصلين عن الله كل الانفصال.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(ب) أما ما تسمى "الأسرار السبعة" عند بعض المسيحيين (وهي سرّ المعمودية وسرّ الاعتراف وسرّ التناول وسر الميرون وسر مسحة المرضى وسر الكهنوت وسر الزيجة) فليس لها أساس في الكتاب المقدس كأسرار، حتى كان يجوز القول بوجود خلفاء للرسل لممارستها. ولكي يقف القراء على منشأ هذه الأسرار والأدوار التي مرّت بها نقول باختصار [٥٢]:

إن كلمة "سر"، بجانب استعمالها بالمعنى المعروف لدينا (وهو الخبر الغير المعروف)، كانت تستعمل في القرن الثاني لدى بعض المسيحيين للتعبير عن "العهد المقدس" بين الله وبين الناس. كما كانت تستعمل للتعبير عن الأمور التي تترتب عليها نتائج روحية هامة، مثل الصلاة والفداء والقيامة. وأيضاً للتعبير عن الملح الذي كان يعطى للموعوظين كعلامة على أنهم أصبحوا كالملح الذي يصلح المجال الذي يوضع فيه.

وفي أواخر هذا القرن استعملها بعض رجال الدين بمعنى علامة منظورة تدلّ على حقيقة غير منظورة، وقد استعملت بهذا المعنى للمعمودية والعشاء الرباني وزيت

---

٥٢ – لأن الرسل، بالإضافة إلى أنهم أعلنوا للخطاة طريق الخلاص من سلطان الخطية وعقوبتها أعلنوا للمؤمنين كل ما يجب أن يعرفوه على مدى الحياة. وذلك في رسائلهم الخالدة التي تعتبر بحق قانون الإيمان المسيحي، الذي يجب السير على مقتضاه إلى نهاية الدهر. أما القول (إن تعليم الرسل كان للخلاص فقط، لكن تقليد الآباء الذين أتوا بعد الرسل، فهو لبلوغ الكمال) فليس بصواب. لأن الوحي شهد أن الكتاب المقدس كاف لكي يجعل الإنسان كاملاً ومتأهباً لكل عمل صالح (٢تيموثاوس ٣: ١٦ و ١٧).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

المسحة. ثم للكهنوت بالمعنى الحرفي في أواخر القرن الثالث. وبذلك أصبحت الأمور التي تدعى عندهم أسراراً بالمعنى المذكور، أربعة فقط.

ولكن لم يكد يظهر القرن الرابع، حتى أخذ بعض رجال الدين يحيطون المسيحية بمظاهر من الهيبة الشكلية، وذلك في نظر الناس الذين لا يدركون هيبتها الروحية، فأطلقوا على الكثير مما يجري في نطاقها من أعمال، أسراراً. وقد بلغت هذه الأعمال ١٢ في القرن التاسع، ثم ٣٠ في القرن العاشر. وبعد ذلك اختصروها إلى ٧ أسرار باعتبار السبعة عدداً كاملاً، وكان أول من نادى بذلك (بطرس لمبارد) سنة ١١٦٤. وفي مجمع فلورنسا سنة ١٤٣٩ عرف بعض رجال الدين السرّ بأنه علامة منظورة تحل بواسطتها نعمة غير منظورة ــ وهذا التعريف لا أساس له في الكتاب المقدس، لأنه يعلمنا أن النعمة لا تحل في المواد مثل الماء والزيت والخبز والخمر، ثم تنتقل إلى الشخص الذي يستعملها، بل تنتقل مباشرةً من الله إلى النفوس المؤمنة به والمنفتحة له.

٢- [إن المسيح قال للرسل: "وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر. ومن ثم يجب أن يكون هناك خلفاء لهم، لكي يتحقق وعد المسيح بمرافقة أشخاص معينين من قبله يقومون إلى آخر الدهر بالأعمال التي أسندها للرسل].

الرد: إن وعد الرب بمرافقة الرسل لم يكن موجهاً إليهم وحدهم، حتى كان يجوز القول بوجوب وجود خلفاء لهم، لكي يتحقق وعد الرب بمرافقة الرسل إلى نهاية الدهر كما يقال، بل كان موجهاً إلى جميع المؤمنين الحقيقيين في كل العالم في أشخاص

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الرسل، وذلك بوصف الرسل باكورة المؤمنين المذكورين، لأنه (له المجد) أعلن أنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمه من هؤلاء، هناك يكون في وسطهم (متى ١٨: ٢٠)، ومن ثم ليس هناك مجال لهذه الحجة.

٣- [إن المسيح قال للرسل: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به". وقال لهم أيضاً: "الذي يسمع منكم، يسمع مني. والذي يرذلكم، يرذلني". وبما أن الرسل لم يذهبوا إلى جميع الأمم لنشر الإنجيل، لذلك من الواجب أن يكون لهم خلفاء يقومون بهذه الخدمة من بعدهم، حتى يتحقق أمر الرب للرسل، ويتحقق أيضاً وعده بوجود أشخاص يكونون في مركزه، يجب أن يسمع الناس لتعليمهم، وإلاّ يكونون قد رذلوه شخصياً].

الرد: (أ) فضلاً عن أنه ليس هناك مجال للخلافة الرسولية كما ذكرنا، نقول: إن المهمة التي أقام المسيح الرسل لتأديتها كانت تنحصر في تلقي الوحي، وإعلانه بعد ذلك للناس مؤيداً بالقوى المعجزية. وبما أنهم قاموا بهاتين الخدمتين إلى التمام، كما سجلوا (وهم في حالة العصمة من الخطأ) كل الوحي الذي تلقوه، في الكتاب (٢تيموثاوس ٣: ١٧) الذي بين أيدينا، لم تعد هناك حاجة إلى خلفاء لهم للقيام بالخدمتين المذكورتين، لأن من يسمع من هذا الكتاب يكون قد سمع من المسيح، ومن يرذل هذا الكتاب يكون قد رذل المسيح.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(ب) ومما يثبت أن خدمة الرسل قد انتهت في العالم بتسجيل الوحي الإلهـــي، أن الله قصد أن ينشر الإنجيل بيننا ويثبته، ليس بواسطة خلفاء الرسل، بل بواسطة أنبياء ومبشّرين ورعاة ومعلّمين، ولا يزال الكثير من هؤلاء جميعاً بيننا إلى الوقت الحاضر. فقد قال الرسول عن الله "فوضع أناساً في الكنيسة: أولاً رسلاً، ثانياً أنبياء، ثالثاً معلمـــين، ..." (١كورنثوس ١٢: ٢٨). وقال أيضاً عنه "وهو أعطى البعض أن يكونوا رســـلاً، والبعض أنبياء والبعض مبشّرين، والبعض رعاة ومعلّمين، لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة، لبنيان جسد المسيح" (أفسس ٤: ١١-١٢).

أخيراً نقول إن الرب لم يأمر الرسل بأن يتلمذوا أشخاصاً معينين (حتى كـــان يجوز الظن بأنه طلب منهم أن يقيموا خلفاء لهم)، بل أمرهم أن يتلمذوا جميع الأمـــم بدون استثناء، لكي يحفظوا هم أيضاً الوصايا التي أعطاها للرسل من قبل، ومن ثم ليس هناك مجال لهذه الحجة.

٤- [إن المسيح قال لنا: "على كرسي موسى جلس الكتبة والفريـــسيون، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه، فاحفظوه واعملوه. ولكن حسب أعمالهم لا تعملـــوا" (متى ٢٣: ٣)، الأمر الذي يدل على وجوب وجود خلفاء للرســـل يجلـــسون علـــى كراسيهم، ليتولوا دون غيرهم تعليم الناس وإرشادهم بسلطان إلهي].

الرد: (أ) فضلاً عن أنه ليس هناك مجال للخلافة الرسولية كما ذكرنا، نقول: إن موسى لم يكن له إلاّ خليفة واحد، هو يشوع بن نون، وبموت يشوع هذا انقطعت

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الخلافة لموسى نهائياً، إذ لم يعد هناك مجال لها بعد، ولذلك فالمراد بكرسي موسى هنا، ليس مركز الخلافة أو الرياسة بل مركز التعليم والإرشاد. ويرجع السبب في وصية المسيح لليهود التي نحن بصددها، إلى أن التوراة التي تتضمن أحكام الله في العهد القديم، لم تكن منتشرة بين اليهود قديماً، لعدم وجود مطابع وقتئذٍ من ناحية، وللقيود الشديدة التي كانت تفرض على القائمين بكتابة نسخ منها بأيديهم من ناحية أخرى، ومن ثم لم يكن يقتني نسخة من التوراة إلاّ علماء الدين. وبناءً على ذلك، لم يكن هناك سبيل أمام اليهودي العادي الذي يريد معرفة شيء من أحكام الله، سوى الالتجاء إلى هؤلاء العلماء، وكان من الواجب عليه أن يعمل بكل ما يقولونه له، وذلك تحت مسؤوليتهم.

(ب) أما في العهد الجديد فيوجد الكتاب المقدس بين أيدينا جميعاً، وفيه كل الكفاية لإرشادنا وهدايتنا كما ذكرنا. ومن ثم فنحن تحت التزام بأن نعمل بأنفسنا بكل ما جاء به، حتى إذا أفتانا بعض رجال الدين بيننا بغير ذلك. فمثلاً إذا أشاروا على واحد منا أن يطلق زوجته لغير علة الزنا، ثم نفّذ مشورتهم يكون معتدياً على شريعة الله، وعليه تقع مسؤولية ارتكاب هذا الجرم، لأنه أطاع رجال الدين وخالف وصية الله التي بين يديه . لكن إذا كان بيننا شخص يجهل وصية الله من جهة أمر ما، فيمكنه أن يطلب الإرشاد من العارفين بها ــ وإرشاد هؤلاء له، وإن كان عملاً طيباً، غير أنه لا يرفعهم (طبعاً) إلى مركز خلفاء للرسل، لأنهم لا يكونون أكثر من مرشدين أو معلمين مثل غيرهم من العارفين بكلمة الله العديدين. فإذا أضفنا إلى ما تقدّم أن الرسل لم يتركوا

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

عملهم ناقصاً بل أكملوه إلى التمام[٥٣]، حتى أن واحداً منهم خاطب المؤمنين بالقول "لكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم، فليكن أناثيماً (أي محروماً)" (غلاطية ١: ٨) . وخاطبهم آخر بأن الإيمان قد سلّم (بواسطة الرسل) مرة واحدة (أو بالحري دفعة واحدة) للقديسين (يهوذا ٣)، اتّضح لنا أنه ليس هناك مجال أيضاً لإقامة خلفاء للرسل لأي غرض من الأغراض.

الباب السابع
الحجج الخاصة بشفاء المرضى، وإعطاء الروح القدس

١
الحجج الخاصة بشفاء المرضى، والردّ عليها

[قال يعقوب الرسول "أمريضٌ أحدٌ بينكم، فليدع شيوخ الكنيسة، فيصلّوا عليه بزيت باسم الرب. وصلاة الإيمان تشفي المريض، والرب يقيمه. وإن كان قد فعل خطية تغفر له" (يعقوب ٥: ١٦) ــ فهذه الآية تدل على وجوب وجود كهنة في الكنيسة لهم الحق في دهن المرضى بالزيت، لكي يشفوا هؤلاء وتغفر لهم خطاياهم أيضاً] .

---

٥٣ – عن (أ) كلمتي "Mystry" و "Sacrament" في دوائر المعارف الإنجليزية
(ب) A text Book of History of Doctrines p.p. ٥١-٥٣

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الرد: (أ) إن شيوخ الكنيسة أو قسوسها ليسوا كهنة (لأن الكهنة بالمعنى الحرفي هم الذين يقدمون الذبائح الكفارية لله، وهذه الذبائح لا مجال لها بعد كفارة المسيح كما ذكرنا مراراً وتكراراً [٥٤])، بل إنهم ، كما ذكرنا فيما سلف، أشخاص متقدمون في السن وحياة الإيمان، لهم إلمام بكلمة الله ومعاملاته، وقادرون تبعاً لذلك على الوعظ والتعليم.

(ب) إن الوحي بقوله "أمريضٌ أحد بينكم، فليدع شيوخ الكنيسة"، يعلن لنا خطأ استدعاء شيخٍ واحد في هذه الحالة، ويرجع السبب في ذلك إلى أن شيوخ الكنيسة مجتمعين معاً، يمكنهم بالبحث أن يعرفوا سواء كان المرض الذي حلّ بهذا الشخص، مرضاً عادياً، أو تأديبياً له بسبب خطية عملها (١كورنثوس ١١: ٣٠). وإذا كان الأمر كذلك، أدركنا أن قيام قسيس واحد أو بعض الشبان أو السيدات بدهن المرضى بالزيت (كما نشاهد الآن في بعض الجماعات المسيحية)، لا يتفق مع الحقّ الإلهي.

(ج) إن الآية لا تقول عن القسوس إنهم يدهنون المريض بالزيت (بـــ أل التعريف) كما لو كان زيتاً مقدساً (مثلاً)، بل تقول "بزيت" فقط، أي بزيت عادي. كما أنها لا تقول إنهم يرشمونه بهذا الزيت (أو بالحري يرسمون به علامة صليب صغير على جبهة المريض، أو غيرها من أعضاء جسمه كما يعمل البعض في الوقت الحاضر)، بل تقول إنهم يدهنون المريض به، أو بالحري يدهنون جسمه كله به. فضلاً عن ذلك،

---

٥٤ – والكهنة بالمعنى الروحي هم المؤمنون الحقيقيون عامةً، لأن لهم امتياز الاقتراب من الله وتقديم الذبائح الروحية كما ذكرنا في كتاب "كهنوت المؤمنين".

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

فإن الآية لا تقول إن الزيت يشفي المريض، بل تقول إن صلاة الإيمان هي التي تشفيه، الأمر الذي يدل على أن القسوس يجب أن لا يكونوا فقط ملمّين بأقوال الله، بل أن يكونوا أيضاً رجال صلاة ورجال إيمان معاً.

(د) وإذا كان الأمر كذلك، أدركنا أن المراد بكلمة "زيت" هنا، هو زيت الزيتون العادي الذي لا يزال يستعمل في بلاد فلسطين، وفي غيرها من البلاد في الشؤون الطبية، فقد كان اليهود يضعون على الجروح والضربات زيتاً (إشعياء ١: ٦)، أو زيتاً وخمراً[٥٥] (لوقا ١٠: ٣٤)، أما في العهد الجديد، فقد أعلن الوحي أن المؤمنين الحقيقيين يجب أن لا يكون علاجهم في حالة المرض مقصوراً على الزيت (أو على غيره من الأدوية) ، بل يجب أن يكون مصحوباً بالاعتراف بالخطية والتوبة عنها، إذا كان المرض تأديباً من الرب بسببها، لأنه يجب السعي للحصول على الغفران قبل الحصول على الشفاء. فإذا أضفنا إلى ما تقدّم، أن المسيح شفى شخصاً أعمى بوضع شيء من الطين على عينيه، وليس شيئاً من الزيت (يوحنا ٩: ٦)، وأن إشعيا النبي أوصى أن يوضع قرص تين وليس شيئاً من الزيت، على الدبل الذي كان يشكو منه حزقيا الملك ليبرأ (إشعياء ٣٨: ٢١)، اتّضح لنا أنه ليس هناك مجال للاعتقاد بوجود سر خاص في الزيت الذي نحن بصدده، أو أنه وحده هو الوسيلة المنظورة للعلاج المادي [٥٦].

---

٥٥ – فالأول لترطيب الجروح، والثاني لتطهيرها.

٥٦ – لأن هناك شفاء من الله مباشرةً، لا يتطلّب زيتاً أو شيئاً آخر، إذ أن كل ما يتطلبه هو صلاة الإيمان.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(هـ) أخيراً نقول: إذا رجعنا إلى تاريخ الكنيسة، نرى أن المسيحيين في القرنين الأول والثاني كانوا يعتمدون في أمر الشفاء على صلاة الإيمان وحدها، لكن الذين أتوا بعدهم في القرن الثالث، تسرّب إلى ذهنهم الظن بأن الزيت هو الذي يشفي المرضى. وما لبث هذا الظن طويلاً حتى أصبح عقيدة لديهم. فقد قرر مجمع بافيا سنة ٨٥٠م أن في هذا الزيت سراً، وأنه يطهر أيضاً من الخطايا والآثام. ولذلك أخذ بعض رجال الدين يدهنون به المشرفين على الموت، حتى (حسب اعتقادهم) ينطلق هؤلاء إلى العالم الآخر أطهاراً أنقياء !!.

٢

الحجج القائلة بوضع الأيدي لإعطاء الروح القدس ومواهبه والردّ عليها

١- [إن الكتاب المقدس يعلن أن الروح القدس لم يكن يحل على أحد إلاّ بواسطة وضع أيدي الرسل، كما حدث مع التلاميذ الذين كانوا في أفسس والسامرة (أعمال ٨: ١٤-١٧، ١٩: ٣-٧) ــ وهذا دليل على وجوب وجود خلفاء للرسل، للقيام بهذه المهمة الجليلة].

الرد: (أ) فضلاً عن أنه ليس هناك مجال للخلافة الرسولية كما ذكرنا فيما سلف، نقول: إن تلاميذ أفسس لم يكونوا، كما يتّضح من (أعمال ١٩: ٣-٤)، مؤمنين بالمسيح من جهة كونه ابن الله الذي أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا (رومية ٤: ٢٥)، بل كانوا مؤمنين بشخصه كونه الملك الآتي إلى العالم (متى ٣: ٢)، وذلك بناءً على ما تعلّموه من يوحنا المعمدان.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ومن ثم كانوا معتمدين بمعموديته وحدها، وبالتبعية غير عارفين بشيء عن الروح القدس [٥٧]، الأمر الذي حرمهم من حلوله عليهم من قبل، ولما آمنوا بالمسيح رباً ومخلّصاً بواسطة كرازة بولس الرسول، كان من الممكن أن يحلّ عليهم الروح القدس في الحال أسوةً بغيرهم من المؤمنين (أعمال ١٠: ٤٣). لكن لو كان قد حدث لك، لكان من المحتمل أن يظل يوحنا المعمدان مالكاً على قلوبهم، إذ أنهم كانوا يغارون على سمعته ويفضلونه على المسيح كثيراً (يوحنا ٣: ٢٦). إنما بقبولهم وضع يدي بولس الرسول (أحد أتباع المسيح) عليهم، أثبتوا أنهم انفصلوا عن يوحنا ، واتّصلوا بالمسيح عن طريق رسوله هذا، ولذلك حلّ الروح القدس عليهم مثل غيرهم من المؤمنين — ومن هذا يتضح لنا أن السبب في عدم حلول الروح القدس مباشرةً على تلاميذ أفسس، ليس له نظير الآن، ومن ثم ليس هناك مجال للظن بوجوب وجود خلفاء للرسل لكي بوضع أيديهم على المؤمنين، يحل الروح القدس عليهم.

(ب) أما تلاميذ السامرة، فكانوا يحجمون عن الاختلاط بالمسيحيين الذين في اليهودية، بسبب العداوة القديمة التي كانت بين اليهود وبين السامريين (يوحنا ٤: ٩). ولو كان الروح القدس حل عليهم بمجرد إيمانهم بالمسيح بواسطة كرازة فيلبس كما كان يحل على غيرهم، لكان من المحتمل أن يظلوا في عزلة عن المسيحيين الذين في

---

[٥٧] – لأن معمودية يوحنا كانت لإعداد الأمة اليهودية بالتوبة لقبول المسيح كالملك (متى ٣: ٢). ومن ثم لم يترتب عليها حلول الروح القدس. لأنه لا يحل على أحد إلاّ على أساس الإيمان الحقيقي بالمسيح رباً وفادياً (أفسس ١: ١٣).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

اليهودية [الأمر الذي يتعارض مع هدف الروح القدس من سكناه في القلوب، ألا وهو ربط جميع المؤمنين الحقيقيين في كل البلاد بالمسيح كرأسهم جميعاً، وببعضهم البعض كأعضاء جسده الواحد (١كورنثوس ١٢: ١٣-٢٧)]، ولكان من المحتمل أيضاً أن يتخذوا بعد ذلك فيلبس المذكور زعيماً دينياً لهم، لا سيّما وأنه لم يكن من اليهودية بل كان من قيصرية، التي هي أقرب البلاد إلى السامرة بلدتهم. ولكن عندما أحنوا رؤوسهم تحت يدي بطرس الرسول ورفيقه يوحنا اللذين من اليهودية، أعلنوا أنهم يعتبرون أنفسهم واحداً مع المسيحيين الذين في اليهودية، وبالتبعية مع المسيحيين الذين في غيرها من البلدان، ومن ثم حلّ عليهم الروح القدس كما حلّ على تلاميذ أفسس.

فإذا أضفنا إلى ذلك أن الرسولين المذكورين صليا، لا لكي يعطي الله الروح القدس بواسطتهما للسامريين، بل لكي يقبلوا هم هذا الروح، أو بالحري لكي يقبلوه منه تعالى (أعمال ٨: ١٤-١٥)، اتّضح لنا أن السبب في عدم حلول الروح القدس مباشرةً عليهم عند إيمانهم بالمسيح بواسطة كرازة فيلبس، هو العداوة التي كانت في نفوسهم من جهة المؤمنين الذين في اليهودية كما ذكرنا ــ وهذا السبب ليس له نظير أيضاً في الوقت الحاضر، ومن ثم ليس هناك أيضاً مجال للظن بوجوب وجود خلفاء للرسل، لكي بوضع أيديهم على المؤمنين يحل الروح القدس عليهم.

فضلاً عما تقدم فإننا إذا وضعنا أمامنا أن الرب كان قد أعطى بطرس الرسول للسبب الذي ذكرناه في الباب السابق، امتياز فتح باب ملكوت السموات، أي باب الدخول في دائرة الإيمان المسيحي على الأرض، وذلك لثلاث فئات (الأولى) السامريين الذين كانت ديانتهم خليطاً من اليهودية والوثنية، (الثانية) اليهود الذين كانوا يعبدون

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الله وفق شريعته التي أعطاها لموسى النبي، (الثالثة) الأمم الذين كانوا يعبدون الأوثان ولم تكن لهم علاقة باليهود على الإطلاق (أعمال ١: ٨)، اتّضح لنا أن وجود هذا الرسول بين السامريين لحلول الروح القدس عليهم كان أمراً ضرورياً في أول الأمر، وذلك بناءً على وعد الرب السابق له ــ أما وقد فتح الرسول المذكور باب الملكوت لكل الناس على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم، فإن الروح القدس يحل بدون وضع الأيدي، وذلك على كل من يتوب منهم ويؤمن إيماناً حقيقياً (أعمال ٢: ٣٨).

٢- [إن السبب في عدم حلول الروح القدس على أهل السامرة، يرجع إلى أنهم كانوا قد آمنوا بالمسيح بواسطة كرازة فيلبس. وفيلبس هذا كان مبشراً لا يملك السلطة الرسولية في وضع اليد التي يحل بها الروح القدس، الأمر الذي يدل على وجوب وجود خلفاء للرسل، حتى بواسطة وضع أيديهم على الناس في كل العصور، يحل هذا الروح عليهم].

الرد: فضلاً عن أن المسيح لم يأمر تلاميذه أن يقيموا خلفاء لهم، ولا هم أقاموا أمثال هؤلاء الخلفاء. وفضلاً عن أن هذه الحجة (إن جاز أن تدعى حجة) تجعل الأساقفة لدى القائلين بها أفضل من فيلبس المبشّر، الأمر الذي لا يؤيده وحي أو اختبار، نقول:

(أ) إن الروح القدس حلّ على التلاميذ دون أن يضع المسيح يده عليهم، كما أنه لم يأمرهم بوضع أيديهم على المؤمنين لكي يحل هذا الروح عليهم، ولذلك نرى أنه عندما آمن كرنيليوس والذين كانوا معه بما قال بطرس الرسول لهم عن فداء المسيح

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وقيامته من الأموات، حلّ عليهم الروح القدس في الحال (أعمال ١٠: ٤٢) وهذا دليل على أنه يحل بمجرد الإيمان بالمسيح، أو بالحري الإيمان الحقيقي به، وليس بواسطة وضع أيدي فريق من الناس مهما كان شأنهم.

(ب) كما أننا إذا وضعنا أمامنا (أولاً) أن فيلبس المبشّر الذي نحن بصدده بشّر وزير ملكة الحبشة بالمسيح (أعمال ٨: ٣٩)، ولما آمن هذا واعتمد، ظهرت عليه في الحال علامات سكنى الروح القدس فيه. إذ سجل الوحي عنه أنه فرح بالخلاص. والفرح بالخلاص هو أحد نتائج حلول الروح القدس (١تسالونيكي ١: ٦). (ثانياً) أن هذا الوزير كان ذاهباً إلى بلاد بعيدة ليس بها رسول يمكن بوضع يديه على هذا الوزير، أن يحل الروح القدس عليه هناك، إن كان الروح القدس لا يحل إلاّ بوضع الأيدي كما يقال. (ثالثاً) وأن هذا الوزير أيضاً (كما ينبئنا التاريخ) نادى بالمسيح بين الوثنيين في بلاده وربح كثيرين منهم له، الأمر الذي لا يستطيع القيام به إلاّ من يسكن فيه الروح القدس ــ اتّضح لنا أن الروح القدس لا بد أنه حل على هذا الرجل بمجرّد إيمانه بواسطة كرازة فيلبس، ومن ثم لا يكون هناك مجال للحجة التي أمامنا كما ذكرنا.

٣- [إن الرسل بوضعهم الأيدي على استفانوس، أخذ يصنع عجائب ومعجزات في الشعب (أعمال ٦: ٥-٨). وأن حنانيا بوضع يديه على شاول أبصر وامتلأ بالروح القدس وصار رسولاً (أعمال ٩: ١٧)، الأمر الذي يدل على توقف حلول الروح القدس ومواهبه على وضع الأيدي].

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الرد: فضلاً عن أن الرسل حصلوا على الروح القدس ومواهبه، هم وغيرهم من المؤمنين الحقيقيين بدون وضع الأيدي كما ذكرنا (أعمال ٢: ٤٠). وفضلاً عن أن الكتاب المقدس يعلن أن الروح القدس يسكن في القلوب بمجرّد الإيمان الحقيقي(٥٨) (أعمال ١٠: ٤٣ و ٤٤) ــ فقد قال المسيح عنه "من آمن بي تجري من بطنه أنهار ماء حي" (يوحنا ٧: ٣٨-٣٩). وقال بولس الرسول للمؤمنين (أي بمجـرّد أن آمنـتم) ختمتم بروح الموعد القدوس" (أفسس ١: ١٤). كما قال إننا "ننال بالإيمان موعـد الروح" (غلاطية ٣: ١٤)، الأمر الذي لا يدع مجالاً للحجة التي أمامنا نقول:

(أ) إن الوحي سجل عن استفانوس أنه كان (قبل وضع الأيدي عليه) رجـلاً مملوءً بالإيمان والروح القدس. وسجل عنه بعد وضع الأيدي عليه: "فإذ كان مملـوءاً إيماناً وقوة" (أعمال ٦: ٤ و٨). وهذا دليل على أنه لم يحصل على الـروح القـدس ومواهبه الروحية، بواسطة وضع الأيدي عليه.

---

٥٨ – أما الدعوى (بأن الرسل كانوا قد آمنوا بالمسيح بمجرد أن دعاهم إليه، ومع ذلك لم يحل الروح القدس على أحد منهم، إلاّ بعد صعود المسيح عنهم بعشرة أيام، مما يدل على أن حلول الروح القدس غير مقترن بالإيمان) فلا مجال لها ... لأن الروح القدس كان يرافق الرسل منذ إيمانهم بالمسيح (يوحنا ١٤: ٧). ولكن لم يحل عليهم ويسكن فيهم قبل يوم الخمسين من قيامة المسيح، لأنه لم يكن قد مجّـد بعد (يوحنا ٧: ٣٩). أما عندما تمجد (أو بالحري أكمل الكفارة وقام من بين الأموات وصعد بعـد ذلك إلى السماء، للدلالة على قبولها الأبدي أمام الله) حلّ الروح القدس عليهم وعلى غيرهـم مـن المؤمنين (أعمال ٢: ١و ٣٢) ومنذ حلوله هذا يحل ويسكن في كل من يؤمن إيماناً حقيقياً كما ذكرنا، وذلك باستحقاقات كفارة المسيح دون سواها.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أما الغرض من وضع الأيدي عليه الوارد في (أعمال ٦: ٦) فكان لتعيينه شماساً، وذلك حتى لا يعترض عليه أحد عند اتصاله بالعائلات الفقيرة، وتوزيع المساعدات المالية عليها، الذي هو العمل الرئيسي للشماس في الكتاب المقدس.

(ب) إن حنانيا لم يكن واحداً من الاثني عشر رسولاً، وليس هناك دليل أيضاً على أنه كان واحداً من السبعين رسولاً، ولذلك فالراجح أنه كان فقط واحداً من المؤمنين أو الأنبياء القدامى. ومن ثم لم يكن ليمنح بولس الرسول المواهب الرسولية، لأن النبي أقل مقاماً من الرسول. فإذا أضفنا إلى ذلك أن بولس الرسول أعلن أنه ليس رسولاً من إنسان، بل من الله (غلاطية ١:١)، اتّضح لنا أن حنانيا لم يضع يديه على بولس لكي يجعله رسولاً، إنما لكي يبصر فقط، كما يتّضح من قول المسيح لحنانيا عنه "هوذا يصلي. وقد رأى في رؤيا رجلاً اسمه حنانيا داخلاً وواضعاً يديه عليه لكي يبصر" (أعمال ٩: ١٢)، دون أية إشارة إلى صيرورته رسولاً. أما من جهة امتلاء بولس بالروح القدس وقتئذٍ (أو بالحري سكنى هذا الروح فيه)، فيرجع إلى توبته وإيمانه، اللذين أعلنهما جهاراً في الاعتماد باسم الرب يسوع، فمكتوب "توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع لغفران الخطايا، فتقبلوا عطية الروح القدس" (أعمال ٢: ٣٨).

وإذا كان الأمر كذلك، يكون المراد بقول حنانيا لشاول الذي صار بولس فيما بعد: "قد أرسلني الربّ يسوع الذي ظهر لك في الطريق الذي جئت فيه، لكي تبصر وتمتلئ من الروح القدس"، أن إبصار شاول متعلّق بوضع يدي حنانيا عليه، وأن امتلاءه بعد ذلك بالروح القدس متعلّق بإيمانه بالمسيح إيماناً حقيقياً – وغني عن البيان

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أن شفاء عيني شاول، كأي شفاء آخر، كان من الممكن أن يتم بدون وضع يد أحد (كما كان يحدث بواسطة المسيح ورسله مرات متعددة)، لكن اقتضى الأمر أن يضع حنانيا يده على شاول بالذات، لأنه كان من الواجب أن يحني هذا رأسه التي كان يشمخ بها من قبل على المسيح وذلك أمام أحد أتباعه، حتى يعلم أن شفاءه لم يكن مصادفة، بل كان بواسطة المسيح العامل بقوته في حنانيا هذا، كما في غيره من المؤمنين وقتئذٍ.

٤- [قال بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس "لا تهمل الموهبة التي فيك المعطاة لك بالنبوّة، مع وضع أيدي المشيخة" (١تيموثاوس ٤: ١٤). وقال أيضاً له "أذكّرك أن تضرم موهبة الله التي فيك بوضع يدي" (٢تيموثاوس ١: ٦). وأيضاً "لا تضع يداً على أحد بالعجلة" (١تيموثاوس ٥: ٢٤). الأمر الذي يدل على توقّف حلول المواهب الروحية على وضع الأيدي].

الرد: (أ) إن بولس الرسول لم يقل لتيموثاوس عن الموهبة إنه (أي بولس) أعطاها له، بل قال له عنها "المعطاة له"، أو بالحري المعطاة من الله له. لأنه لم يكن هناك داعٍ لاستعمال اسم المفعول "المعطاة"، الذي يدل على المبني للمجهول، إذا كان بولس المتكلم، هو الذي أعطى الموهبة لتيموثاوس بواسطة وضع يديه عليه. كما أن قوله بعد ذلك عن الموهبة إنها "موهبة الله"، لا يدع مجالاً للشك في أن الله (وليس بولس) هو الذي أعطى الموهبة لتيموثاوس. وقد أعطاه الله إياها، لأنه كان منذ طفولته يعرف الكتب المقدسة (٢تي ٣: ١٥)، كما أن إيمانه كان بلا رياء (٢تي ١: ٥).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(ب) إن الكلمة المترجمة (ب) في العبارة "المعطاة لك بالبنوة"، هي في الأصل اليوناني ذات الكلمة المترجمة (ب) في العبارة (بوضع يدي)، وهذه الكلمة هي "ديا". وهي لا تدل على أن ما بعدها هو الفاعل، بل أنه الوسيلة أو العلامة الظاهرية التي يتم بها فعل الفاعل. ومن ثم كما أن النبوة لم تكن هي التي أعطت الموهبة لتيموثاوس، بل كانت مجرد إعلان عن إعطاء الله إياها له، كذلك لا يكون بولس بوضع يديه على تيموثاوس قد أعطاه إياها، بل أعلن فقط بعلامة منظورة أن تيموثاوس حصل من الله عليها. ومن البديهي أن يكون الأمر كذلك ، وإلاّ كان الحصول على المواهب يتم بحركة آلية، لا شأن لها بالصلة الروحية التي بين المؤمنين وبين الله، الأمر الذي يتعارض كل التعارض مع الحق المسيحي ـــ وإذا كان الأمر كذلك، يكون مثل تيموثاوس مثل يشوع قديماً، فإن موسى وضع يده عليه "لا لكي يحل عليه روح الله، بل لأن روح الله كان حالاً فيه من قبل" (العدد ٢٧: ١٨).

(ج) وبالإضافة إلى ما تقدم، فإن وضع بولس يديه على تيموثاوس، لم يكن أمراً حتمياً للدلالة على حصوله على الموهبة من الله، لولا أن الله أراد أن يكون لتيموثاوس مركز خاص كنائب رسولي، على الرغم من حداثة سنه وانتمائه إلى الجنسية اليونانية التي كان اليهود يحتقرونها. ومن ثم يكون الغرض من وضع بولس يديه على تيموثاوس، ليس فقط الإعلان عن حصوله على الموهبة من الله، بل وأيضاً خلع هيبة خاصة عليه تحترم خدمته. ومن ثم يكون مثل تيموثاوس من هذه الناحية مثل يشوع أيضاً، كما يتّضح من (العدد ٢٧: ٢٠).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(د) أما من جهة وضع الشيوخ (أو القسوس) أيديهم على تيموثاوس نقول: إن هؤلاء لم يضعوا أيديهم عليه من تلقاء أنفسهم، بل بناءً على النبوة التي سمعوها عنه، فمثلهم والحالة هذه مثل يعقوب. فإنه لم يضع يده اليمنى على أفرايم لكي يكثر نسله، بل لأنه علم بالنبوة أن نسله سيكون كثيراً (تكوين ٤٨: ١٤-١٩). كما أننا إذا وضعنا أمامنا أن الشيوخ أقل درجة من تيموثاوس، أدركنا أنه لا يمكن أن يكونوا هم الواسطة في إعطاء الموهبة له، أو تخويله حق ممارستها. ولذلك لا يقول الوحي إن الموهبة أعطيت لتيموثاوس بواسطة أيدي المشيخة، بل "مع وضع أيدي المشيخة". أي أن موقف الشيوخ بوضع أيديهم عليه هو فقط المصادقة أو الشهادة، على أن الله هو الذي أعطاه الموهبة، وبالتبعية على أحقيته في ممارستها، على الرغم من حداثة سنة وانتمائه إلى الجنسية اليونانية التي كان اليهود يحتقرونها من قبل، ويعتقدون أن المنتمين إليها لا يمكن أن ينالوا بركة من الله كما ذكرنا. وعلى هذا النسق كان بنو إسرائيل يضعون أيديهم على اللاويين الذي اصطفاهم الله من بينهم لأجل خدمته (العدد٨: ١٠). فإنهم كانوا أقل قدراً من اللاويين، ومع ذلك وضعوا الأيدي عليهم، وطبعاً لا لشيء سوى المصادقة على خدمتهم.

(هـ) أخيراً نقول إن التحريض الذي وجهه بولس إلى تيموثاوس من جهة وجوب عدم وضع يديه بالعجلة على إنسان ما، لا يستنتج منه أن تيموثاوس كان يعطي المواهب الروحية للناس بواسطة وضع يديه عليهم. لأنه فضلاً عن أن المواهب تمنح من الله مباشرةً للأشخاص المهيئين لها، فإن تيموثاوس لم يكن يقيم بوضع يديه أنبياء أو مبشرين أو معلمين فحسب (١تيموثاوس ٣)، للأسباب السابق ذكرها. وكان من

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الواجب على تيموثاوس أن يدقق ويتريث في اختيار أولئك وهؤلاء، حتى لا يضع يديه على أشخاص غير أتقياء فيكونون سبب عثرة للكثيرين.

٥- [وإن كان المسيح هو مصدر المواهب الروحية، لكن يجب على من يمنحهم إياها في الوقت الحاضر، أن لا يمارسوها إلاّ بعد وضع أيدي رجال الدين عليهم، كما يتّضح من الآيات الواردة في البند السابق].

الرد: إذا استثنينا الظروف التي كانت تستلزم وضع الشيوخ أيديهم على تيموثاوس، لأن هذه الظروف كانت خاصة به وحده، فإنه بالرجوع إلى الكتاب المقدس نرى أن كل من نال موهبة من المسيح، كان يمارسها بتأثير الروح القدس في نفسه، دون أن ينتظر أحداً ليضع يديه عليه (إذ أن ظهور الموهبة فيه، دليل كاف على أن المسيح نفسه هو الذي أعطاها له).

كما كانت الحال مع الأنبياء مثل أغابيوس (أعمال ١٣: ١)، ويهوذا وسيلا (أعمال ١٥: ٢٣)، والمبشّرين مثل فيلبس (٥٩) (أعمال ٨: ٥) وبرنابا (أعمال ١٥: ٣٥). كما أننا إذا نظرنا حوالينا الآن، نرى في كل طائفة من الطوائف المسيحية مؤمنين

---

٥٩ – أما وضع الأيدي على فيلبس الوارد في (أعمال ٦: ٥)، فلم يكن لتعيينه مبشراً بل شماساً، ويرجع السبب في ذلك إلى أن موهبة التبشير معطاة له من الله، ومن ثم لا تتطلب تأييداً من الناس. أما خدمة الشموسية التي كانت تدعو صاحبها للاتصال بالعائلات الفقيرة لمدّها بالمساعدات المالية، كانت تتطلّب وضع أيدي الرسل، حتى لا تتعرّض للمقاومة من أي فريق من الناس.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

حقيقيين، أعطاهم المسيح مواهب روحية (٦٠) (مثل الرعاية والوعظ والتعليم والتدبير)، وهم يقومون باستثمارها بأمانة وإخلاص، ويؤيدها له المجد من جانبه ببركات كثيرة، دون أن يضع أحد عليهم الأيدي، الأمر الذي لا يدع مجالاً للحجة التي أمامنا.

أخيراً نقول: إن الحصول على المواهب الروحية من الله يتطلّب أولاً تطهير النفس وتقديسها له، كما يتطلّب الاجتهاد الروحي في خدمته والمحبة الشديدة له، والغيرة الصادقة على مجده، والتأثّر القلبي بعظمة كفارته ووجوب إعلانها للخطاة المساكين. وهذه الاتجاهات الكريمة تتولّد فينا بواسطة المواظبة على الشركة مع الله والتأثّر المستمر بكلمته. فقد قال الرسول "إن طهر أحد نفسه (٦١)، يكون إناءً للكرامة مقدّساً نافعاً للسيد، مستعدّاً لكل عمل صالح" (٢تيموثاوس ٢: ٢١). كما قال "جدوا للمواهب الروحية" (١كورنثوس ١٤: ١). أما عن كون المسيح وحده هو مصدر المواهب، فواضح من قول الرسول عنه أنه أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين.. (أفسس ٤: ١١، ١

---

٦٠ – مما تجدر الإشارة إليه أن هناك فرقاً كبيراً بين المواهب الروحية، وبين المواهب العقلية في المجال الديني؛ فالأولى يمنحها الله للمؤمنين الحقيقيين المكرّسين له، لكي يعلنوا محبته الفائقة للناس، حتى يقبلوا إليه، يوجدوا في كفارته الثمينة خلاصاً لنفوسهم، وحتى ينموا بعد ذلك في معرفته والسير برفقته. أما المواهب العقلية، فقد تتوافر لدى المؤمنين بالاسم، لأنها تتوقف أولاً وأخيراً على الفصاحة واللباقة، أو الدراسة العقلية للكتاب المقدس، ولذلك لا تفيد إلاّ في حشو أدمغة الناس بمعلومات دينية.

٦١ – أو بالحري طهّرها بوضعها تحت تأثير كلمة الله، وهذا التطهير تابع للتطهير بالدم الكريم (١يوحنا ١: ٧) عند الإيمان الحقيقي بالمسيح (أعمال ١٥: ٩)، والذي يؤدي إلى القبول الأبدي أمام الله. فالتطهير بالكلمة تابع للتطهير بالدم وليس سابقاً له.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

كورنثوس ١٢: ٢٨). ولذلك فإن من لا يحصل على المواهب الروحية منه، لا يستطيع الحصول عليها من أيدي رجال الدين كلهم عليه، حتى إذا كانوا من أصحاب المواهب. لأن هذه ليست كالسلع التي تنتقل من شخص إلى آخر بالتسليم، بل إنها مرتبطة بنفس الحاصل عليها وخاصةً به وحده. ومن ثم لا يستطيع أن ينتزعها من نفسه ويعطيها إلى غيره.

٦- [إن وضع الأيدي كان منذ القديم، هو الواسطة لحلول البركة. فيعقوب عندما بارك ابني يوسف، وضع يديه عليهما (تكوين ٤٨: ١٤)، والمسيح عندما بارك الأولاد وضع يديه عليهم (متى ١٩: ١٥)، ولذلك لا سبيل للحصول على البركة في وقت ما، إلاّ بواسطة وضع الأيدي].

الرد: (أ) إننا لا ننكر أن منح البركة كان مقترناً في بعض الحالات بوضع الأيدي. لكن وضعها لم يكن إلاّ علامةً خارجية ليست لها في ذاتها قوة منح البركة. والدليل على ذلك أن كثيرين تباركوا بدون وضع الأيدي عليهم. فإبراهيم تبارك بواسطة ملكي صادق (تكوين ١١: ٩). ويعقوب تبارك بواسطة اسحق (تكوين ٢٧: ٢٧)، وبواسطة ملاك الرب (تكوين ٤٨: ١٥)، وهكذا أخوته أيضاً (تكوين ٤٩: ٢٨). والذين صنعوا الخيمة تباركوا بواسطة موسى (خروج ٣٩: ٤٣). ويهوناداب تبارك بواسطة ياهو (٢ملوك ١٠: ١٥). والعذراء مريم وخطيبها يوسف تباركا بواسطة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

سمعان الشيخ (لوقا ٢: ٣٤). والتلاميذ تباركوا بواسطة المسيح (٦٢) (لوقا ٢٤: ٥)، بدون وضع الأيدي على واحد منهم. ومن ثم فالبركة تتوقف أولاً وأخيراً على قصد الله، والحالة الروحية للناس المقدمة لهم البركة كما ذكرنا.

(ب) هذا وقد عرف أيضاً الأرثوذكس القدامى أن الروح القدس يحل بالصلاة، وليس بوضع الأيدي، فقال أناتوليوس "جاهدوا حتى الدم، فتنالوا عطية الروح". وقال أغناطيوس "حينما يسكن الروح القدس في إنسان، فإنه يشفع فيه بأنات لا ينطق بها. وما معنى أنات ؟ معناها التنهّدات (٦٣) والبكاء من أجلنا ... فكم بالحري يجب أن نبكي نحن على أنفسنا حتى نصير أهلاً لحلول ذلك الزائر العظيم (٦٤)، الذي

---

٦٢ – حقاً إن المسيح رفع يديه إلى فوق عندما بارك تلاميذه، لكن رفع اليدين إلى فوق يختلف عن وضعهما على رأس أحد ما، لأن العمل الأول علامة على الصلاة أو طلب البركة. أما العمل الثاني فعلامة على إعطاء البركة.

٦٣ – بالرجوع إلى الكتاب المقدس يتّضح لنا أن المراد بالأنات، هو الشعور بآلام الحياة الحاضرة، والشوق إلى فداء أجسادنا بتغييرها إلى صورة جسد المسيح، عند عودته لاختطافنا إلى مجده (رومية ٨: ٢٣، فيلبي ٣: ٢١).

٦٤ – مما تجدر الإشارة إليه أن الروح القدس يجب أن لا ينظر إليه كزائر يحل في قلوبنا، بل كالمالك الحقيقي لها، الذي له وحده حق التصرف فيها كما يشاء. وهذا ما يدعونا إلى تسليم حياتنا له تسليماً مطلقاً.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

هو الروح القدس". وقال أنطونيوس "ذلك الروح الناري العظيم الذي قبلته أنا، اقبلوه أنتم أيضاً. اطلبوا باستقامة قلب هذا الروح، وحينئذٍ يعطى لكم بالصلاة (٦٥)".

كما عرفوا أن حلول الروح القدس ليس مجرّد عقيدة تتم بطقس خارجي (كما هي الحال في نظر القائلين الآن بحلوله بواسطة وضع الأيدي)، بل أن حلوله حقيقة عملية لها فعالية عظيمة. فقد قال أوغسطينوس عنه "إنه يُنشئ سروراً خفياً في الداخل، وفرحاً وطرباً في القلب. كما يُنشئ اشتياقاً ملتهباً نحو الله، وتهليلاً داخل النفس لا ينقطع". وقال القديس أنطونيوس "عندما يسكن روح الله في المؤمنين الحقيقيين، يُريحهم من جميع أعمالهم. فيحاولون حمل نير المسيح بلا تعب، سواء في عمل الفضائل أو في الخدمة". وقال أيضاً "هكذا القديسون، عندما وجدوا هذا الروح وسكن فيهم، رفعوا إلى الربّ شكراً عظيماً، لأنه يكشف لهم الأسرار العلوية، وأشياء أخرى أمسك القلم عن ذكرها [٦٦]" (حياة الصلاة الأرثوذكسية ص٢٤ و١٩٠و١٧٨ و ٤٧٠ و٤٨٢).

وفي العصر الحاضر، قال الراهب الفاضل متى المسكين إن الروح القدس يحمل كلمة الله من الله إلى روح الإنسان. وهو لا يُفارق هذه الكلمة قط. كما أنه يفتح ذهن القارئ فيفهمها. فضلاً عن ذلك فإنه يُنشئ فيه بواسطتها وعياً روحياً فائقاً، يسمو فوق كل حقائق العالم. غير أنه يتطلب من الإنسان القلب الوديع الذي يتوسّل بإيمان (كلمة الله:

---

[٦٥] – إذا كنا نحصل على الروح القدس بالتوبة والإيمان الحقيقي كما أعلن الكتاب المقدس، وكانت الصلاة ليس لأجل أمور حصلنا عليها بل لأجل أمور لم نحصل عليها، لذلك تكون الصلاة المشار إليها أعلاه خاصةً بطلب الامتلاء من الروح القدس، والنمو المتواصل في حياة الشركة مع الله.

[٦٦] – لعلّ المراد بذلك: أمجاد المسيح وبركاته السماوية، لأن هذه وتلك لا يمكن وصفها.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ص٤٩، ٥١، ٥٣، ٧٦). كما قال "إن الروح القدس يجعل إرادة الإنسان تعمل الصلاح بحريتها، الأمر الذي كان يتعذّر عليها من قبل ... كما يفتح الطبيعة البشرية على الله، وبهذا يصير الإنسان في علاقة أصيلة بالله ويدخل معه في رباط حيوي" (المواهب الكنسية ص٨).

وإذا كان الأمر كذلك، أدركنا أن الاعتقاد بحلول الروح القدس بواسطة وضع أيدي القائلين إنهم خلفاء للرسل بعيد عن الصواب، ليس فقط من الناحية العقائدية الكتابية، بل وأيضاً من الناحية الاختبارية العملية، لأننا لا نرى ثمراً من ثمار الروح القدس قد ظهر في أحد، نتيجة لوضع هؤلاء الأشخاص أيديهم عليه. ومن ثم يكون وضع أيديهم هو مجرّد تقليد، أو مظهر لا جوهر له ــ وعمل مثل هذا لا حاجة لنا به على الإطلاق.

أما دعوى المشتغلين بعلم الأرواح [أنهم رأوا أشعة خاصة تخرج من أيدي الكهنة الطقسيين، عندما توضع على طالبي البركة]، فبالإضافة إلى أنه لا يمكن أن يكون لها في ضوء ما تقدّم نصيب من الصواب، فإنها من ترّهات القائلين بأنهم علماء الأرواح. إذ ثبت بالاختبار العملي أن أقوالهم خليط من الحق والضلال، وذلك لنشر الثاني على حساب الأول. إذ أن الأرواح التي يقولون إنهم علماء فيها ليست أرواح موتى كما يدّعون، بل هي أرواح شريرة تتشكّل بأشكال هؤلاء، وذلك لإقصاء الناس عن الله (٢كورنثوس١١: ٤) لأن أرواح البشر تصبح بعد انطلاقها من أجسادها تحت سلطان الله المطلق، إما في الفردوس أو في الهاوية (لوقا ١٦: ١٩-٣٠).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٧- [إن وضع الأيدي هو اسم آخر لزيت المسحة أو الميرون، الذي قال الرسول يوحنا عنه "وأما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه (أي من الله) ثابتة فيكم، ولا حاجة أن يعلّمكم أحد، بل كما تعلّمكم هذه المسحة عينها" (١يوحنا ٢: ٢٦-٢٧) وهذا دليل على أن الميرون (أو دهن المسحة) المستعمل في الكنائس الرسولية هو الوسيلة لحلول الروح القدس] .

الرد: فضلاً عن أن الكنيسة هي كنيسة واحدة لا ثاني لها، وأن هذه الكنيسة هي المؤمنون الحقيقيون بالمسيح في كل العصور والبلاد (كما يتضح من الباب التالي)، الأمر الذي لا يدع مجالاً للقول بوجود كنائس رسولية وأخرى غير رسولية، ما دامت تؤمن جميعاً بلاهوت المسيح وكفاية كفارته وغير ذلك من الحقائق الكتابية. وفضلاً عن أن الآية التي نحن بصددها لا تدلّ على أن الروح القدس يحلّ بواسطة دهن المسحة كما يقال، الأمر الذي ينقض الحجة المعروضة علينا من أساسها، نقول:

(أ) إن اعتبار وضع الأيدي اسماً آخر للميرون، فضلاً عن أنه لا يمكن أن يكون صواباً (لاختلاف أحدهما عن الآخر)، فإنه لا يؤثر على البحث الذي نقوم به في قليل أو كثير، ليس فقط لأنه لا أساس له في الكتاب المقدس بل وأيضاً لأنه لو كان الروح القدس يحلّ بواسطة الميرون، لما كان من الممكن أن يحلّ بواسطة وضع الأيدي كما يقول المعترضون، أو بواسطة الإيمان الحقيقي كما يعلن الكتاب المقدس، ذلك لأن معاملة الله واحدة مع جميع الناس في كل العصور، وإذا كان الأمر كذلك، أدركنا أن كلمة "المسحة" الواردة في الآية التي نحن بصددها، لا يُراد بها دهن ما، بل إنها مستعملة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

هنا بالمعنى المجازي للإشارة إلى الروح القدس نفسه. والدليل على ذلك أن الرسول يسند إليها التعليم، والحال أن الذي يعلّم هو الروح القدس. فقد قال المسيح لتلاميذه عنه أنه "يُعلّمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم" (يوحنا١٤: ٢٦).

(ب) أما السبب في استعمال كلمة "المسحة" للإشارة إلى الروح القدس. فلا يرجع إلى أنها هي بعينه، بل إلى أنه هو الذي كان يرمز إليه بها في العهد القديم[٦٧] لأن كل الذين كانوا يقدسون لخدمة الله في هذا العهد، كانوا يمسحون بدهن يدعى "دهن المسحة"، رمزاً إلى تأييد الروح القدس لهم، كما ذكرنا في كتابي "كهنوت المسيح" و"كهنوت المؤمنين". فإذا أضفنا إلى ما تقدّم أن تلاميذ المسيح لم يمسحوا بدهن ما عندما حلّ الروح القدس عليهم، أو مسحوا أحداً بدهن لكي يحلّ عليه هذا الروح. كما أن المسيح عندما حلّ عليه الروح القدس لم يسمح أيضاً بدهن، إذ أن قول الوحي إن الله مسحه بالروح القدس (أعمال ١٠: ٣٨)، معناه أن الروح القدس حلّ عليه لا أكثر ولا أقلّ، اتّضح لنا أن كلمة المسحة لا تستعمل في العهد الجديد إلاّ بالمعنى المجازي، للإشارة إلى الروح القدس كما ذكرنا.

---

٦٧ – وعلى هذا النسق، فإن المسيح يطلق عليه الفصح (١كورنثوس ٥: ٧)، ليس لأنه خروف الفصح، بل لأن هذا الخروف كان رمزاً إليه. وإن الصلاة يطلق عليها البخور (رؤيا ٥: ٨)، ليس لأنها هي البخور، بل لأن البخور كان رمزاً لها.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٨- [إن الرسول بولس قال: "ولكن الذي يثبّتنا معكم في المسيح وقد مسحنا، هو الله الذي ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح في قلوبنا" (٢كورنثوس ١: ٢١، ٢٢)، وهذا دليل على وجوب استعمال الميرون للحصول على الروح القدس].

الرد: يتّضح من هذه الآية ضمناً، أن الله مسح بولس الرسول وختمه. لكن بالرجوع إلى الكتاب المقدس لا نرى أن الله عندما قام بهذين العملين له استعمل دهناً ما. ومن ثم فإن المسح والختم هنا مستعملان بالمعنى المجازي، الأمر الذي لا يدع مجالاً للحجة التي أمامنا، ومع كل فالآية التي نحن بصددها تدل على حقائق روحية هامة، وهي:

(أ) إن الله لا يتركنا لمجهوداتنا الشخصية في مهمة الثبات في المسيح، بل إنه نفسه هو الذي يقوم بهذه المهمة لنا، ومن ثم يضمن سلامتنا إلى الأبد. ولذلك فكل ما يجب علينا القيام به هو تسليم نفوسنا بالتمام له، لكي يقودنا في سبيله كل حين، لأنه له المجد لا يقوم لنا بأي عمل رغماً عنا.

(ب) إن الله ختمنا، أو بالحري وضع علينا اسمه، فأصبحنا خاصته التي يعتزّ بها ويحافظ عليها كل أيام الحياة. وإن أخطأنا، فإنه يؤدبنا حتى نعود إليه، لكنه لا يسمح بإهلاكنا على الإطلاق (١كورنثوس ١١: ٣٢).

(ج) إنه أيضاً أعطانا الروح القدس عربوناً للمجد الأبدي، وبما أنه كلما كان العربون عظيماً، كان امتلاك الشيء المقدم عنه هذا العربون أكيداً ؛ لذلك ليس هناك أي مجال للشك في امتلاكنا للمجد الأبدي شرعاً من الآن، لأن العربون المقدم لنا عن

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

هذا المجد أعظم من قيمته بما لا يقاس، إذ أن الروح القدس ليس مخلوقاً مثل المجد المذكور، بل إنه الخالق له ولغيره، إذ أنه مع الآب والابن، الله الذي ليس هناك إله سواه.

وهذه الحقائق الثمينة عندما تتغلغل في نفوسنا، تبعث فيها كل حب وإخلاص لله، كما تقودها للسلوك بكل تقوى وقداسة أمامه.

٩- [إن دهن المسحة كان يستعمل في الكنيسة منذ نشأتها كوسيلة لحلول الروح القدس، ولذلك يكون الرسل أنفسهم هم الذين أمروا باستعماله لهذا الغرض، ثم انتقل إلينا منهم عن طريق التقليد].

الرد: فضلاً عن أن حقائق الإيمان المسيحي بأسرها قد سلّمت إلينا بواسطة الرسل مرة واحدة، أو بالحري دفعة واحدة (يهوذا ١: ٣) على صفحات الكتاب المقدس، حتى أن الرسول بولس قال للمؤمنين "إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أثيماً (أو محروماً)" (غلاطية ١: ٨)، الأمر الذي لا يدع مجالاً للاعتقاد بوجود أي تقليد تسلّمه الأقدمون من الرسل، بجانب ما جاء في هذا الكتاب، نقول: إن الدليل الذي يثبت أن تقليداً ما يرجع إلى الرسل، هو أن تكون هناك إشارة إليه في الكتاب المقدس، أو يكون متفقاً مع ما جاء في هذا الكتاب. وبما أنه ليست هناك عبارة في الكتاب المقدس يستنتج منها أن الرسل كانوا يستعملون دهناً ما كواسطة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

لحول الروح القدس على المؤمنين، إذن لا يمكن أن يكون استعماله لهذا الغرض منقولاً عنهم. ولكن إذا رجعنا إلى التاريخ [٦٨]، يتّضح لنا ما يأتي:

(أ) استحسن فريق من الأساقفة في القرن الثاني أن يمسحوا المؤمنين الذين يقبلون المعمودية بزيت الزيتون العادي، لأنهم وجدوا أن كلمة "المسحة" هي التي يشتق منها اسم المسيح (بمعنى الممسوح [٦٩]) في كل اللغات ؛ وكان غرضهم الأول والأخير من هذا العمل، أن يعلنوا للمؤمنين المذكورين أنهم أصبحوا مسيحيين. واستحسن فريق آخر من الأساقفة أن يمسحوا مثل هؤلاء المؤمنين بالزيت المذكور، لأنهم وجدوا أنه كان يستعمل في العهد القديم عند تعيين الملوك والكهنة في وظائفهم، رمزاً إلى حلول الروح القدس عليهم. ومن ثم كان مسح المؤمنين المذكورين بالزيت لديهم، رمزاً أو إشارةً إلى حلول الروح القدس عليهم وصيرورتهم ملوكاً وكهنةً بالمعنى الروحي (رؤيا ١ : ٦). فقد قال كيرلس الاسكندري: "إن الميرون يُشير حسناً إلى مسحة الروح القدس (أسرار الكنيسة السبعة ص٦٥)، أي أنه ليس هو ذات الروح القدس، أو حتى الواسطة لحلوله.

---

[٦٨] – ريحانة النفوس في أصل المعتقدات والطقوس، وتاريخ الكنيسة لموسهيم (للإنجيليين) وأسرار الكنيسة السبعة، واللآلئ النفيسة في شرح طقوس الكنيسة (للأرثوذكس) وشرح التعليم المسيحي زمختصر المقالات اللاّهوتية (للكاثوليك).

[٦٩] – كما تستعمل كلمة "جريح" بمعنى "مجروح". و"قتيل" بمعنى "مقتول".

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(ب) وبعد ذلك أخذ الاعتقاد بشأن هذا الزيت يتطوّر شيئاً فشيئاً، حتى ذهب كثير من الأساقفة في القرن الرابع إلى أنه هو الواسطة الوحيدة التي يحل بها الروح القدس. ولذلك أخذوا يعدونه بتلاوة صلاة خاصة وقراءة فصول معينة من الكتاب المقدّس، بعد مزج هذا الزيت بثلاثين صنفاً من العطور، ولكي يبرروا تصرّفهم هذا في نظر أتباعهم، قالوا إن الرسل أخذوا الأطياب ومزجوها بزيت الزيتون [٧٠]. كما قالوا إن الرسل أنفسهم هم الذين قاموا بتوزيع هذا المزيج على الكنائس التي كانت في أيامهم، وأوصوها بأنه إذا أوشك على النفاذ من عندها، يجب أن تضيف إلى ما تبقى منه شيئاً من زيت الزيتون مع العطور المذكورة، وأن ترفع لله صلوات خاصة عند قيامها بهذا العمل، لكي يقدّس الله الزيت الذي تعمله.

(ج) وفي القرن التاسع ذهب بعض الأساقفة إلى أنه كما أن الخبز والخمر المستعملين في العشاء الرباني يتحوّلان بواسطة القداس (حسب اعتقادهم في هذا القرن) إلى ذات جسد المسيح ودمه [٧١]، فإن زيت المسحة لا يبقى أيضاً بعد صلاتهم عليه زيتاً عادياً، بل يصبح "موهبة المسيح وحضور الروح القدس، وفاعلاً أيضاً فعل

---

[٧٠] – فضلاً عن أنه ليست هناك أية إشارة في الكتاب المقدس تدل على ذلك، فليس من المعقول أن تلاميذ المسيح قد عادوا إلى قبره، بعد أن رأوه له المجد حياً بينهم. كما أنه ليس من المعقول أيضاً أن يكون قد جال بخاطرهم أن يجمعوا الحنوط التي كانت على جسده، لأنه لم يطلب منهم القيام بجمعها لأي غرض من الأغراض.

[٧١] – إقرأ شيئاً عن تاريخ الاستحالة في كتاب "العشاء الرباني".

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الموهبة[٧٢]" أو بالحري أنه موهبة الروح القدس نفسها [٧٣]. وبناء على ذلك أمر مجمع بافيا سنة ٩٥٠م باستعمال هذا الزيت في الكنائس اللاتينية لتقديس المؤمنين وتثبيتهم في الله. أما عند الأرمن فلم يستعمل الزيت المذكور إلاّ في القرن الرابع عشر، أي بعد انتقال عقيدة الاستحالة إليهم بقرن من الزمان.

مما تقدم يتضح لنا أن عقيدة حلول الروح القدس بواسطة الميرون، فضلاً عن أنها بنيت على فهم بعض الآيات فهماً يختلف عن المقصود منها، فهي تجعل الواسطة لحلول الروح القدس على البشر (إن كان يحل عليهم بالميرون) واسطةً مادية خارجية، لا علاقة لها بالتوبة والإيمان الحقيقي والصلة الروحية بالله. فإذا أضفنا إلى ذلك أن الذين يمسحون بهذا الزيت مرات متعددة لا تظهر فيهم ثمار الروح القدس [التي هي الصلاح والبر والحق والسلام وطول الأناة واللطف والوداعة والتعفف (أفسس ٥: ١٠، غلاطية ٥: ٢٢)]. كنتيجة مباشرة لهذا المسح، اتّضح لنا أن الاعتقاد [بتوقف حلول

---

٧٢ – وهنا نتساءل: إذا كان الميرون هو موهبة الروح القدس نفسه، فلماذا لا يسمح به الكهنة أنفسهم والذين معهم، بدلاً من أن يطلبوا من الله (في القداس) أن يحل الروح القدس عليهم جميعاً، أليست صلواتهم هذه دليلاً على أنهم يعتقدون بينهم وبين أنفسهم أن الميرون ليس هو الروح القدس، أو الواسطة التي يحلّ بها.

٧٣ – وبذلك جسموا الروح القدس في زيت الميرون أو بالحري جسموا الله نفسه (لأن الروح القدس هو أحد أقانيم اللاهوت) في الزيت المكور. وقد ترتب على ذلك أنهم ذهبوا إلى أن هذا الزيت هو الذي يقدّس الصور الدينية التي تسمح به (حياة الصلاة الأرثوذكسية ص٥٥٢-٥٥٦ و٥٦١). ولعل هذا هو السبب في تقبيلهم إياها وانحنائهم أمامها، ورفعهم للبخور نحوها، والتبرّك بها – الأمر الذي يتعارض مع الحق المسيحي كل التعارض.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الروح القدس على المسح بالميرون، أو أن هذا الميرون يثبت الذين يمسحون به في الله] لا يؤيده وحي أو اختبار، بل هو تنكّر للحقائق المسيحية وعودة إلى الطقوس اليهودية التي لا تجدي ولا تفيد.

أما الاعتراض بأن [الكتاب المقدس لم يسجّل أن الروح القدس يحلّ بواسطة زيت المسحة، لأنه (أي هذا الكتاب) لم يذكر كل شيء عمله المسيح أو رسله]، فلا يجوز الأخذ به. لأن الأمور التي لم يذكرها الكتاب المقدس هي بعض المعجزات التي عملها المسيح، ويرجع السبب في ذلك إلى أن ما سجله منها كافٍ لإثبات شخصيته له المجد. فقد قال الرسول "وآيات أخرى كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب. وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة أبدية" (يوحنا ٢٠: ٣٠-٣١). أما لو كان الروح القدس لا يحلّ إلاّ بالميرون، لكان الوحي تحدث عن كيفية صناعته وطريقة ممارسته، وغير ذلك من الأمور التي تتعلّق به، لأنه يكون من أهم الموضوعات الدينية التي يجب على المؤمنين معرفتها في كل العصور والبلاد.

وأخيراً نقول: بما أن الكتاب المقدس يعلن لنا أن الوسيلة الوحيدة لحلول الروح القدس هي التوبة الصادقة والإيمان الحقيقي بالمسيح، وأنه بحلوله في النفس يسمو بها إلى حالة التوافق مع الله في صفاته الأدبية السامية كما ذكرنا فيما سلف، فليس هناك إذن مبرر بعد للقول إن هذا الروح يحلّ بواسطة المسح بالميرون المذكور، أو إن هذا الميرون هو موهبة الروح القدس نفسها، كما يُقال – وإذا كان الأمر كذلك فإن القول "وصار الماء والزيت والخبز والخمر مجالات اتحاد بين الله والمادة.. فيها يهب الله الروح

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

القدس نعماً فعّالة في أسرار لا ينطق بها" (التجسد الإلهي ص١٦و١٧)، ليس من المسيحية في شيء.

الباب الثامن
الحجج الخاصة بتوقف الخلاص على الانضمام إلى كنيسة الكهنة الطقسيين

١
تأسيس الكنيسة المسيحية وأسباب تكون الطوائف

كنا نودّ أن نكتفي بما ذكرناه عن مهام الكهنوت الطقسي، لكن نظراً لأن رجاله ذهبوا إلى أنهم، بمعتقداتهم الخاصة، هم الكنيسة الرسولية، وأن كل الخارجين عن هذه الكنيسة لا خلاص لهم عند الله، مهما كان إيمانهم، رأينا من الواجب أن نتحدث قليلاً عن نشأة المسيحية والأدوار التي مرّت بها، وأن نردّ بعد ذلك على الاعتراضات الخاصة بهذا الموضوع:

١- معنى كلمة "الكنيسة": إن هذه الكلمة مشتقّة من كلمة "كنيست" العبرية، ومعناها جماعة من الناس تربطهم رابطة ما. وقد استعملها استفانوس في خطابه الشهير عن جماعة بني إسرائيل قديماً (أعمال ٧: ٣٨) ؛ لكنها استعملت بعد ذلك في العهد الجديد للدلالة على جماعة المؤمنين الحقيقيين بالمسيح دون غيرهم. وهذه الكنيسة من حيث كونها دائرة عمل الله الروحي، تدعى فلاحته (١كورنثوس ٣: ٩)،

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ومن حيث كونها الدائرة التي يحلّ فيها روحياً، تدعى هيكله (١كورنثوس ٣: ١٦)، وبيته (١تيموثاوس ٣: ١٥)، ومسكنه (أفسس ٢: ٢٢) ... ومن حيث مكانتها في نظره، بالنسبة إلى غيرها من الجماعات الدينية، هي عمود الحقّ وقاعدته (١تيموثاوس ٣: ١٥). ومن حيث علاقتها بالمسيح، تدعى جسده (أفسس ١: ٢٢و٢٣). ومن حيث محبة المسيح لها، تدعى عروسه (أفسس ٥: ٢٥-٢٧، ٢كورنثوس ١١: ٢). ومن ثم فالكنيسة ليست هي البناء الذي يجتمع فيه المؤمنون للعبادة، وليست هي الطقوس والعقائد الدينية، وليست هي جماعة رجال الدين في أي طائفة من الطوائف المسيحية، بل هي المؤمنون الحقيقيون أنفسهم. فقد قال الرسول "أحبّ المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها" (أفسس ٥: ٢٥). والمسيح لم يحب جماعة خاصة من الناس وأسلم نفسه لأجلها، بل أحبّ جميع المؤمنين الحقيقيين في العالم وأسلم نفسه لأجلهم. ولذلك تسند الكنيسة إلى المسيح (متى ١٦: ١٨) أو إلى الله (١كورنثوس ١٠: ١٨)، وليس إلى بشر أو ملائكة.

٢ـ تأسيس الكنيسة المسيحية: بالرجوع إلى الكتاب المقدس، يتّضح لنا أن الكنيسة المسيحية تأسست في يوم الخمسين من قيامة المسيح، أو بالحري عند حلول الروح القدس على رسله، وعلى كل من كان معهم من المؤمنين (أعمال ١: ١٥). إذ تجلّى على أثر حلوله عليهم ترابطهم الشديد معاً كأخوة أحباء، وذلك في الاجتماع بنفس واحدة باسم المسيح للعبادة والصلاة، وفي التعاون على نشر إنجيله في كل مكان، وأيضاً في الاهتمام بمدّ يد المعونة للمحتاجين منهم، وذلك بكل محبة وإخلاص (أعمال ٢: ٤٢-٤٧).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وعن طريق خدمات الرسل الشفوية والتحريرية، آمن كثيرون من اليهود والأمم بالمسيح إيماناً حقيقياً في جهات متفرّقة من العالم، وساروا طبقاً لما تلقوه من الرسل، من جهة العبادة والخدمة والسلوك. فمن ثم وإن كانت قد نشأت كنائس في بلاد متعددة، لكن هذه الكنائس كانت كنيسة الله الواحدة في إيمانها وعبادتها ومسلكها. وقد أشار إلى وحدة الكنيسة أغناطيوس في القرن الأول، فقال: "إنها كنيسة واحدة في العالم أجمع"، كما أشار إليها ترتوليانوس في القرن الثالث، فقال: " إن بيت الرب الروحاني واحد" (تاريخ الآباء في القرون الثلاثة الأولى ص٢٣و١٤٥). وكذلك القانون المعروف بقانون الإيمان، فقد "نؤمن بكنيسة واحدة جامعة رسولية".

٣- أسباب انقسام المسيحيين: ولو كان رجال الدين قد حافظوا بعد العصر الرسولي على السلوك بتواضع ووداعة، وظلوا متمسكين بكلمة الله دون سواها، لما حدث بينهم اختلاف ما، ولبقيت الكنيسة إلى الآن واحدة، تربط أفرادها في كل أنحاء العالم روابط المحبة الخالصة، كما كانت الحال من قبل. غير أن رجال الدين لم يحافظوا بكل أسف على وحدة الكنيسة أو على روابط المحبة بين أفرادها، لأنهم منذ تولوا رياسة اجتماعات العبادة، أخذ كل فريق منهم في تشكيلها حسب ما استحسنه من نظم خاصة، كما أخذ في وضع عقائد دينية تتفق مع ما ذهب إليه من تفسير لبعض الآيات الكتابية، أو ما عرفه من الآراء الفلسفية أو اليهودية. وبذلك تكونت طوائف مختلفة لكل منها رئيس خاص.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

مما تقدّم يتّضح لنا أن ما يطلق عليها الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية والإنجيلية، و ... هي مجرّد طوائف دينية تجتمع كل منها على أساس عقائد خاصة بها، وتحت رياسة أشخاص معينين فيها. وما الاسم الذي استحسنت كل منها أن تطلقه على نفسها إلاّ اسم بشري بحت. وقد ينطبق هذا الاسم على عقائدها وتصرّفاتها أو لا ينطبق – ومع كل ففي كل طائفة من هذه الطوائف يوجد مؤمنون بالحق، كما يوجد مؤمنون بالاسم. فالمؤمنون بالحق فيها جميعاً هم الكنيسة الحقيقية أمام الله [٧٤]. أما المؤمنون بالاسم فليسوا من ضمن هذه الكنيسة، حتى إذا كانوا من أعظم رجال الدين وأشهرهم بيننا ــ ومن ثم فالقول [إن هذه الكنيسة هي الحقيقية، وإن تلك ليست هي الحقيقية] هو قول بشري لا أساس له في الكتاب المقدس، إذ أن الكنيسة الحقيقية هي المؤمنون الحقيقيون في كل العالم مهما كانت طوائفهم أو أجناسهم كما ذكرنا.

٤ـ نسبة الكنيسة إلى المؤمنين: ذكرنا أن المؤمنين الحقيقيين هم الكنيسة نفسها. ولذلك من الخطأ أن يدعو بعض المؤمنين الكنيسة التي ينتمون إليها، أماً لهم. لأن الذي ولدنا ولادة روحية هو الله. فمكتوب "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي رحمته الكثيرة ولدنا ثانيةً" (١بطرس ١: ٣). كما أن الواسطة التي استخدمها الله لولادتنا هذه، هي كلمته. فمكتوب أنه "شاء فولدنا بكلمة الحق لكي نكون باكورة من خلائقه" (يعقوب ١: ١٨)، كما ذكرنا في الباب الثالث. ولذلك

---

[٧٤] – وطبعاً، ما عدا المنتمين إلى الطوائف التي تنكر لاهوت المسيح وكفاية كفارته، وخلود النفس، وغير ذلك من الحقائق الأساسية في الكتاب المقدس.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

تكون علاقتنا بالله أقوى من علاقتنا بالطائفة التي ننتمي إليها، ويكون تأثّرنا بكلمته التي ولدنا بها أعظم من تأثرنا بأقوال قادة هذه الطوائف، وبناءً عليه، إذا كان لنا أب وأم من الناحية الروحية، فالله هو أبونا، وكلمته هي أمنا، لأنها هي الواسطة التي بها ولدنا من الله، وهي الواسطة لتغذية نفوسنا طالما نحن في العالم الحاضر (١بطرس ٢:٢).

٢

والاعتراضات والرد عليها

١- [إن الكنيسة التي يعمل الله فيها المعجزات، هي الكنيسة الحقيقية التي يجب أن ينتمي إليها جميع المسيحيين].

الرد: (أ) إن المؤمنين الحقيقيين، الذين تفتّحت قلوبهم للرب وقبلوه بالإيمان الحقيقي مخلّصاً وفادياً لهم، لا يركضون وراء المعجزات بل وراء شخصه وحده، حتى إذا لم يعمل لهم معجزة واحدة. ذلك لأنهم وجدوا فيه كل الراحة والكفاية لنفوسهم، سواء في العالم الحاضر أو الآتي. إذ أن أكبر معجزة لديهم هي أن الله ولدهم ثانيةً (١بطرس ١: ٣٠)، فغير اتجاه حياتهم بنقلهم من الظلمة إلى نوره العجيب (١بطرس ٢: ٩)، ومن الموت إلى الحياة (يوحنا ٥: ٢٤). كما أن المسيح نفسه هو لديهم معجزة المعجزات من جهة مولده العذراوي، وحياته الخالية من الخطية والمملوءة بكل برّ وصلاح، وأيضاً من جهة موته الكفاري وقيامته من بين الأموات، وصعوده بعد ذلك إلى السماء التي أتى منها في أول الأمر.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(ب) أما من جهة معجزات الشفاء وغيره، فإنها لا تنحصر في جماعة دون أخرى، لأنها تتوقف على الإيمان الحقيقي أينما وجد (لوقا ٩: ٤٩-٥٠). كما أنها وإن كانت لها قيمتها، لكن يجب ألاّ نسلم لأول وهلة بصدقها، بل يجب أن نفحصها بكل دقة في ضوء كلمة الله. لأننا نعلم من هذه الكلمة أن الشيطان يستطيع أن يغير شكله إلى شبه ملاك نور (٢كورنثوس ١١: ١٤)، وبالأولى إلى أشباه الرسل والقديسين أيضاً. وأنه يستطيع أن يعمل معجزات يمكن أن يضلّل بها لو أمكن المختارين (متى ٢٤: ٢٤). فضلاً عن ذلك فإننا نعلم من كلمة الله أن الذين لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا، سيرسل الله إليهم [٧٥] عمل الضلال. ومن ثم سوف يصدقون الكذب (٢تسالونيكي ٢: ١١)، أو بالحري تعليم الشيطان، لأنه كذاب وأبو الكذاب (يوحنا ٨: ٤٤). كما أنه تعالى قد يسمح أحياناً لبعض الأشرار بعمل المعجزات، أو بتحقيق أحلام أعلنوا عنها، أو حدوث أمور أنبأوا بها [٧٦] وذلك لكي يمتحن مقدار إيمان القائلين إنهم من أتباعه (تثنية ١٣: ١-٥).

(ج) ومن ثم لا يجوز الجزم بأن المعجزات التي يُقال بحدوثها الآن إنها معمولة بواسطة الله، إلاّ إذا كانت نتيجة لصلاة البار إليه. لأن صلاته تقتدر كثيراً في فعلها (يعقوب ٥: ١٦). والبارّ هو المؤمن الحقيقي، المقدس لله، والمعتمد عليه. والقائم

---

[٧٥] – أو بالحري سيسمح بإرسال هذا العمل إليهم، لأنهم رفضوا حقه وركضوا وراء الخرافات ـــ وذلك طبقاً لمعاملته العادلة مع جميع الناس (متى ١٣: ١٢).

[٧٦] – طبعاً تكون هذه كلها، بعمل الأرواح الشريرة.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

بأعماله باسم المسيح وحده (يوحنا ١٥: ١٦) ، ولأجل مجده دون سواه (إشعياء ٤٢: ٨). كما أن المعجزات التي يعملها الله على يديه تكون شاملة، أي ليس لفائدة الجسد فقط، بل والروح أيضاً (لوقا ٨: ٣٥). فضلاً عن لك، فإن شخصاً يعمل الله على يديه نوعاً من المعجزات، لا يعسر عليه أن يعمل أيضاً الأنواع الأخرى منها (مرقس ١٦: ١٧و ١٨، متى ١٠: ٨)، لأنه لا يعسر على الربّ أمر.

هذا مع العلم بأن أرواح القديسين الذين رقدوا (والتي يقال إن بواسطتها تعمل المعجزات في الوقت الحاضر)، هي الآن في الفردوس متأثّرة بكلياتها وجزئياتها بجلال الله ومحبته [٧٧]. ومن ثم لا يمكن أن يشغلها عن التمتع به والتعبد له شيء ما [٧٨]، أو بالحري لا يمكن أن تتأثر بظروف سكان الأرض على الإطلاق [٧٩]، وإلاّ لكانت مع وجودها في الفردوس تتألّم لآلامهم، فيصبح الفردوس جحيماً لها، وهذا باطل ــ وقد

---

[٧٧] – فالرسول بولس موجود مع المسيح الآن (فيلبي ١: ٢٣)، هو واللص الذي تاب وآمن قبل موته (لوقا ٢٣: ٤٣)، وهكذا الحال من جهة الرسل والمؤمنين الحقيقيين الذين رقدوا في العهد الجديد. كما أن مؤمني العهد القديم أمثال إبراهيم واسحق ويعقوب وموسى وغيرها، موجودون الآن أيضاً مع شخصه المبارك (متى ٢٢: ٣٢).

[٧٨] – ولإيضاح هذه الحقيقة لنفرض أن أشهر الوعاظ حضر إلينا، فإن أنظارنا جميعاً تتجه إليه. ولو فرضنا أنه حضر بعد ذلك بولس الرسول، فإن نظر الواعظ المذكور وأنظارنا جميعاً تتجه معاً إلى هذا الرسول. ولو فرضنا أنه حضر بعدهما يسوع المسيح، فإن نظر كل من الواعظ وبولس، مع أنظارنا جميعاً أيضاً، تتجه إليه وحده وتقع تحت تأثيره وحده.

[٧٩] – وبالتالي لا يمكن أن تظهر لهم بهيئة ما.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

شهد بهذه الحقيقة قدامى الأرثوذكس فقالوا "إن أرواح الطاهرين في الأبدية لا تتصوّر هناك شيئاً من الخلائق أو تربط به، لأن الله يكون لها هو الكل في الكل" (حياة الصلاة الأرثوذكسية ص١٢).

أخيراً نقول إن أقرب القديسين إلى الله كانوا لا يعبئون أيضاً بالرؤى أو الأحلام أو الإعلانات. فقد قال يوحنا الصليبي (الكاثوليكي)، أكبر المتصوفين المسيحيين في القرن السادس عشر، "إن الله وهبنا نور العقل، ولذلك ينبغي أن لا ننحرف إلى نور آخر مثل الإعلانات والرؤى وما شابه ذلك".

وقال أيضاً "إذا كانت الإعلانات والرؤى والأحلام تؤثّر على الحواس الجسدية وحدها، لا تكون من الله على الإطلاق. ومع كل فمهما كان مصدرها، فإنها تعوق المؤمن عن الاتحاد الحقيقي بالله، لأن هذا لا يكون إلاّ بالإيمان [٨٠] والإيمان هو السير مع الله، دون التأثر بمنظور أو محسوس، بل بكلمته تعالى دون سواها".

٢- [إن المسيح قال لبطرس الرسول: "أنتَ بطرس [٨١] وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها" (متى ١٦: ١٨). ومن ثم تكون الكنيسة الكاثوليكية بروما التي أسسها بطرس الرسول، هي الكنيسة التي يجب أن ينتمي إليها كل المسيحيين، حتى يتمتّعوا بالخلاص الأبدي].

---

٨٠ – عن كتاب في "رحلة إلى الله" (تحت الطبع) ترجمة الدكتور عزت زكي.

٨١ – وكأن المسيح يقول له: أنت قلت عني إنني المسيح ابن الله الحي، وأنا أقول عنك أنك بطرس أي الثابت في الإيمان، لأن كلمة "بطرس" معناها صخرة، وأهم خصائص الصخرة الثبات.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الرد: فضلاً عن أن الذي نادى بالمسيحية بروما، هو بولس الرسول كما يتّضح من رسالته إليها، وأن الخلاص من العذاب الأبدي هو الاقتران بالمسيح مباشرةً عن طريق الإيمان القلبي به، وليس بواسطة الانتساب إلى رسول من الرسل، لأن له المجد هو وحده المخلّص (يوحنا ٤: ٣٤)، الأمر الذي لا يدع مجالاً لهذا الاعتراض نقول:

(أ) لو أن المسيح قصد أن يبني كنيسته على بطرس، لكان قد قال له: أنت بطرس، وعليك أبني كنيستي. كما أن كلمة "الصخرة" الواردة في هذه الآية، لا يُراد بها بطرس، بل يُراد بها (كما يتّضح من دراستها مع الآيات التي على شاكلتها)، الإيمان الذي تلقاه بطرس من الله الآب من جهة شخصية المسيح. لأنه له المجد هو المرموز إليه في الوحي الإلهي، بالصخرة. فقد قال الرسول عن اليهود قديماً "وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً (أو رمزياً)، لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية (أو رمزية) تابعتهم، والصخرة كانت المسيح" (١كورنثوس ١٠: ٢٤). فضلاً عن ذلك، فإننا إذا رجعنا إلى رسالتي بطرس، لا نرى أنه يدعو نفسه الصخرة، بل يعلن أن الصخرة هي المسيح. فقد قال عنه إنه صار لليهود الذين رفضوه، "صخرة عثرة" أي الصخرة التي لم يشاؤوا أن يعتمدوا عليها (أو بالحري أن يؤمنوا بها) فعثروا وسقطوا (١بطرس ٢: ٢-٨)، أو بالحري هلكوا إلى الأبد. أما من جهة الذين قبلوه، فقال لهم عنه "الذي إذ تأتون إليه (تجدونه) حجراً حياً..." (١بطرس ٢: ٤)، وذلك من جهة كونه مصدر الحياة الراسخ لكل المؤمنين المرتبطين به.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(ب) كما أننا إذا رجعنا إلى رسائل بولس الرسول، نراه يعلن لنا أن المسيح هو أساس المؤمنين. فقد قال "فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً غير الذي وضع، الذي هو يسوع المسيح" (١كورنثوس ٣: ١١) – ومن البديهي أن يكون الأمر كذلك، لأنه لو كانت الكنيسة بنيت على بطرس، لانهارت من زمن وقويت عليها أبواب الجحيم، إذ أن بطرس كان كثير الأخطاء (اقرأ مثلاً: متى ١٦: ٢٣، ٢٦: ٦٩-٧٥)، الأمر الذي لا يجعله أهلاً لأن يكون أساساً للمؤمنين.

٣- [إن الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية هما أقدم الكنائس وأقربها إلى الرسل، ومن ثم يجب أن ينتمي كل المسيحيين إلى إحداهما].

الرد: فضلاً عن أن المؤمنين الحقيقيين لا ينتمون جوهرياً إلى طائفة بل إلى المسيح، لأنه مخلّصهم ورأسهم ومصدر حياتهم، وإليه وحده مآلهم، وفضلاً عن أن الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية لم يكن لهما وجود في العصر الرسولي بل نشأتا في القرنين الثالث والرابع، وفضلاً عن أن صدق العقائد الدينية لا يُقاس بالنسبة إلى قدمها، أو اسم الطائفة التي تتمسّك بها، بل بالنسبة إلى ما جاء في الكتاب المقدس عنها، لأنه وحي الله الذي لا يأتيه الباطل من ناحية ما، الأمر الذي لا يدع مجالاً لهذا الاعتراض نقول:

(أ) إن المسيحيين، كما ذكرنا فيما سلف، كانوا في أول نشأتهم يتمسّكون بالكتاب المقدس دون سواه، ومن ثم كانت لهم في كل البلاد عقائد واحدة. لكن

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ظهرت البدع في القرن الثاني، أطلق المقاومون لها على أنفسهم "أرثوذكس"، أي " مستقيمي الرأي". أما الكنيسة الأرثوذكسية من حيث هي جماعة لها كيانها الخاص، فلم تتكون إلاّ حوالي سنة ٣٨٧م (تاريخ الآباء في القرون الثلاثة الأولى ص١٢٠)، أي بعد ظهور اسم الكاثوليكية (أو الكنيسة الجامعة) بمدة ١٨٠ سنة.

(ب) ولما حدث نزاع بين المسيحيين بشأن طبيعة المسيح سنة ٤٥١م، انقسم المسيحيون إلى قسمين، قال القسم الأول: إن المسيح له طبيعتان متميزتان، ويشمل هذا القسم الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية، أم القسم الثاني فقال: إن المسيح جعل الناسوت واحداً مع اللاهوت، ومن ثم تكون له طبيعة واحدة، ويشمل هذا القسم الكنيسة الأرثوذكسية بمصر وغيرها من بلاد الشرق. وكان من جراء هذا الانقسام أن انفصلت هاتان الكنيستان إحداهما عن الأخرى، واستحدثت كل منهما على ممر السنين عقائد خاصة بها.

(ج) مما تقدم يتضح لنا أنه فضلاً عن أن الكنيسة المسيحية الحقيقية لا تحدّها طائفة ما، لأنها تتكوّن من المؤمنين الحقيقيين في كل الطوائف المسيحية كما ذكرنا، الأمر الذي لا يدع مجالاً للقول إن الكنيسة الحقيقية هي الأرثوذكسية أو الكاثوليكية. فإننا إذا وضعنا أمامنا أن الكنيسة من الناحية الموضوعية الظاهرية تكون (كما قيل في القانون المسمى قانون الإيمان) واحدة (لا ثاني لها)، وجامعة (أي تشمل جميع المؤمنين الحقيقيين في كل العالم)، ومقدّسة (أي منفصلة عن الشر وملتصقة بالرب)، ورسولية (أي أن تعليمها هو تعليم الرسل الوارد في الكتاب المقدس، دون زيادة أو نقص)، اتّضح لنا أنه

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

لا يمكن أن تكون الكنيسة الحقيقية حتى من الناحية الموضوعية الظاهرية، هي الكنيسة الأرثوذكسية أو الكاثوليكية أو الإنجيلية أو غيرها من الكنائس المعروفة لـــدينا، لأنـــه فضلاً عن أنه لا تشمل إحداها كل المؤمنين الحقيقيين في العالم، فإنه يوجد في كل منـــها أشخاص أشرار يعيشون بعيداً عن الله كل البعد.

كما أننا إذا وضعنا أمامنا أن الكنيسة التي تدعى الأرثوذكسية أو المـــستقيمة الرأي، لم تتمسّك بالكتاب المقدس وحده، بل تمسّكت أيضاً (مع الكنيسة التي تـــدعى الكاثوليكية) بأقوال بعض القدماء الذين أساؤوا فهم بعض الآيات الـــواردة في هـــذه الكتاب، لا سيّما ما يختصّ منها بالعشاء الرباني والكهنوت، اتّضح لنا أن هذه الكنيسة أصبحت تقليدية لا أرثوذكسية، لأن الأرثوذكسية (كما ذكرنا) معناها استقامة الرأي، وليس هناك مجال لاستقامة الرأي إلاّ في نطاق الكتاب المقدّس [٨٢] ومن ثم فالاعتقـــاد [بوجوب الانتماء إلى الكنيسة الأرثوذكسية أو الكاثوليكية] يدل على التحيز الطائفي، دون التمسّك بالحق الإلهي.

٤- [إن المسيح لا يعطي بركات الخلاص لكل من يؤمن به على حدى، بل أودع هذه البركات في الكنيسة. والدليل على ذلك أنه عندما ظهر لشاول (الذي صار فيما بعد بولس الرسول، لم يرشده إلى الخلاص، بل أرسل إليه حنانيا لكي يقوم بهـــذه المهمة. كما أن الملاك نفسه لم يجرؤ على القيام بإرشاد كرنيليوس إلى الخلاص، بل طلب

[٨٢] – إذا كان الأمر كذلك، أدركنا أن الكنائس التقليدية تحارب الأرثوذكسية ولا تدافع عنها !!

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

منه أن يستدعي بطرس لكي يرشده إليه، وهذا ما يجعل الخلاص وقفاً على الانتماء إلى الكنيسة].

الرد: (أ) فضلاً عن أن حنانيا وبطرس هما الكنيسة، الأمر الذي لا يدع مجالاً لهذا الاعتراض نقول: إن المعترض يقصد بالكنيسة التي ذكرها، الكنيسة الأرثوذكسية أو الكاثوليكية، لأنه ينظر إلى الجماعات المسيحية الأخرى كخوارج. لكن غاب عن ذهنه أن الكنيسة مهما كان شأنها، ليست هي التي تخلّص من ينتمون إليها، لأن الذي يخلّص البشر جميعاً هو المسيح دون سواه. والدليل على ذلك أنه يوجد في كل طائفة من الطوائف المسيحية (وفي مقدمتها ما يطلق عليها الكنيسة الأرثوذكسية أو الكاثوليكية) أشخاص أشرار ومؤمنون بالاسم فحسب، وهؤلاء وأولئك لا خلاص لهم على الإطلاق.

وبما أن المسيح هو الذي يخلّص، يجب على الذين يريدون الحصول على الخلاص أن يتجهوا إليه وحده، تائبين عن خطاياهم ومؤمنون به إيماناً حقيقياً. وقد قصد المسيح أن يحتفظ بالخلاص في يده فقط، لأسباب هامة منها:

١- أنه وحده الذي عمل الخلاص، وذلك بتقديم نفسه كفارةً على الصليب، ومن ثم فهو وحده الذي له الحق في إعطائه للمحتاجين إليه.

٢- إنه رأس المؤمنين، ولا يليق أن يكون هناك فاصل ما بين الرأس وبين أعضاء الجسد.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٣- إن الأشخاص المتغرّبين في بلاد ليست بها كنيسة أرثوذكسية أو كاثوليكية (مثلاً) لا يمكن أن يحصلوا على الخلاص، إذا كان متوقفاً على الانتماء إلى هاتين الكنيستين، وهذا باطل.

٤- إن المسيح أكثر عطفاً علينا من أتقى الناس في أي طائفة من الطوائف، كما يمكن الالتجاء إليه في أي وقت من الأوقات. أما لو كان الخلاص في يد جماعة من الناس، لاحتكروه لأنفسهم، أو أعطوه فقط للمقربين إليهم، أو للذين يقدّمون لهم فروض الطاعة ويجزلون لهم العطاء.

٥- فضلاً عن ذلك، إذا لم تكن للمؤمنين علاقة مباشرة مع المسيح بالروح القدس في العالم الحاضر، لا يمكن أن تكون لهم علاقة معه بعد انطلاقهم من هذا العالم، ومن ثم يكون الخلاص بواسطة الاتصال بالمسيح، وليس بواسطة الانتماء إلى كنيسة خاصة.

(ب) ولذلك إذا رجعنا إلى الكتاب المقدس، نرى أن المسيح لا يقول للتعابى (سواء من هموم العالم أو من الخطية): اذهبوا (مثلاً) إلى بطرس أو مرقس، بل يقول لهم "تعالوا إليَّ (أنا)، و أنا أريحكم ... تعلّموا مني (أنا) فتجدوا الراحة لنفوسكم" (متى ١١: ٢٨). ويقول لهم أيضاً "لا تدعوا لكم معلّماً على الأرض، لأن معلّمكم واحد هو المسيح" (متى ٢٣: ٨). وأيضاً "التفتوا إليّ (أنا) واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض" (إشعياء ٤٥: ٢٢)، لأن "من يقبل إليَّ (أنا)، لا أخرجه خارجاً" (يوحنا ٦: ٢٧)، وهلمّ جرا.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

لكن وإن كان الخلاص في يد الربّ وحده، غير أن هذا لا يدعو من يؤمن به إلى الانعزال عن باقي المؤمنين به، بل العكس يدعوه إلى الالتصاق بهم والاتحاد معهم، لأنه وإياهم أعضاء في جسد المسيح الروحي الواحد. ولذلك قال الرسول لتيموثاوس "... واتبع البرّ والإيمان والمحبة والسلام مع (المؤمنين الحقيقيين) الذين يدعون الربّ من قلبٍ نقي" (٢تيموثاوس ٢: ٢٢). وقال للمؤمنين جميعاً "مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام: جسد واحد، وروح واحد، كما دعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد". ثم قال لهم عن المسيح "الذي منه كل الجسد مركباً معاً ومقترناً بمؤازرة كل مفصل حسب عمل، على قياس كل جزء، يحصل نمو الجسد لبنيانه في المحبة" (أفسس ٤: ٤-١٦).

(ج) أما من جهة الاقتباس الواردين في الاعتراض الذي نحن بصدده، فإن الغرض من إرسال حنانيا إلى شاول، وبطرس إلى كرنيليوس، يرجع إلى أنهما كانا من أتباع الربّ العارفين بطريق الخلاص، كما أنه لو كان شاول وكرنيليوس قد تلقيا معرفة هذا الطريق بواسطة ملاك ما، لظلاّ بعيدين عن جماعة الربّ على الأرض، وحرما تبعاً لذلك من بركة التعضيد في الحياة الروحية، لأنه لا سبيل إلى هذه البركة إلاّ بالوجود مع باقي المؤمنين الحقيقيين، إذ أنهما معاً كالبنيان يشدّ أحدهم أزر الآخر.

مما تقدّم يتّضح لنا أن انقسام المسيحيين إلى طوائف متعددة يرجع إلى التفاف كل فريق منهم حول رئيس ديني معين، وعلى أساس عقائد وتقاليد خاصة، لكن لو نظر المؤمنون الحقيقيون إلى أنفسهم في ضوء كلمة الله، لوجدوا أنهم على الرغم من اختلاف

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

طوائفهم، هم واحد في المسيح، لأنهم حقاً أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه (أفسس ٥: ٣٠) ، ولأحبوا بعضهم بعضاً من قلب طاهر بشدة (١بطرس ١: ٢٢)، ولتكاتفوا معاً في عبادته ونشر إنجيله والسير في سبيله. لأنه وإن كانت الوحدة الظاهرية هامـــة، لكن الوحدة الجوهرية أهم منها كثيراً.

فليتهم جميعاً ينظرون هذه النظرة الروحية السليمة، لأجل مجـــد الله وخـــير نفوسهم العزيزة، آمين.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الخدمة العربية للكرازة باللإنجيل هي هيئة إرسالية مسيحية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخـــرى. وتقـــوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الـــشمالية وبلـــدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتـــب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.

للمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.